

الإسراء والمعراج: دروس وعبر

تأليف الأستاذ خميس بن علي الماجري وتقديم فضيلة الشيخ محمد الأخوة رحمه الله تعالى

هذه رسالة مهمة، حرّرها الأستاذ خميس بن علي الماجري سنة 1409 هجري الموافق لسنة 1989 بمناسبة حلول شهر رجب، قدّم لها شيخ تونس الأوّل، شيخنا المجاهد محمد الأخوة رحمه الله تعالى.

قد عرض عليّ ابني حقًا الأستاذ المرّبي المفضّل السيّد خميس الماجري المتفجّر إسلاما و إيمانا المتمثل فيه وصف المسلم حقًا - من برهن على قوّة إيمانه عمله بعد قوله وذلك علامة بشاشة الإيمان الصحيح القويّ الذي ينبع منه الإسلام الكامل النافع في الأرض للعباد والبلاد - عرض عليّ رسالة وافية تحمل عنوان "الإسراء والمعراج: دروس وعبر" حرّرها بمناسبة حلول موسم رجب الأصبّ أحد الأشهر الحرام وهو الشهر الفرد لعام 1409 هجري الموافق لسنة 1989 فألفيتها فائحة فيأضة بجملة أحكام شرع الإسلام الذي هو شرع لكلّ الأنام الثّقيلين الإنس والجان، ألا إنّ الدّين عند الله الإسلام، طافحة بتوجيهاته في سائر مناحي حياة في سائر مناحي حياة الإنسان ولا غرو أن أوحى هذه الذّكريّ للأستاذ بما أملت عليه من الاستغراق والشّمول لسائر أحكامها المتعلّقة بكلّ أطوار الحياة في سائر مراحلها إذ الذّكريّ دلّت بوضوح ليس فيه خفاء على أنّ هدي السّماء ابتداء بشرع إبراهيم عليه السّلام الذي نبع منه هدايات بقيّة الرّسل والأنبياء،... " أقرأ المزيد

بسم الله الرحمن الرحيم

الإسراء والمعراج: دروس وعبر

خميس بن علي الماجري

الإهداء

إلى الدّاعية الأوّل محمد صلّى الله عليه وسلّم وعلى آله...
إلى كلّ الدّعاة الذين يلجؤون إلى سيرة قدوتهم وأسوتهم عليهم يجدون في جهاده الشّريف ما يستفيدون منه في معالجتهم لواقع الدّعوة...
إلى كلّ هؤلاء أضع هذه الدّراسة المتواضعة...

تقديم: الدّاعية الجليل شيخنا: محمد الأخوة حفظه الله تعالى ونفع به

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نستعينه ونستغفره ونثني عليه تعالى بما تقتدر طاقاتنا عليه ممّا هو واجب لعلو وقداسة منزلته وأتى لطافة بشريّة استيفاء كامل وحقّ الله الذات العليّة.
قد عرض عليّ ابني حقًا الأستاذ المرّبي المفضّل السيّد خميس الماجري المتفجّر إسلاما و إيمانا المتمثل فيه وصف المسلم حقًا - من برهن على قوّة إيمانه عمله بعد قوله وذلك علامة بشاشة الإيمان الصحيح

القوي الذي ينبع منه الإسلام الكامل النافع في الأرض للعباد والبلاد - عرض علي رسالة وأفية تحمل عنوان "الإسراء والمعراج: دروس وعبر" حررها بمناسبة حلول موسم رجب الأصب أحد الأشهر الحرام وهو الشهر الفرد لعام 1409 هجري الموافق لسنة 1989 فألفيتها فائحة فياضة بجملة أحكام شرع الإسلام الذي هو شرع لكل الأنام الثقيلين الإنس والجان، ألا إن الذين عند الله الإسلام، طافحة بتوجيهاته في سائر مناحي حياة في سائر مناحي حياة الإنسان ولا غرو أن أوحى هذه الذكرى للأستاذ بما أملت عليه من الاستغراق والشمول لسائر أحكامها المتعلقة بكل أطوار الحياة في سائر مراحلها إذ الذكرى دلت بوضوح ليس فيه خفاء على أن هدي السماء ابتداء بشرع إبراهيم عليه السلام الذي نبع منه هدايات بقية الرسل والأنبياء، ثم يتجمع ويتلخص فيتبلور ويخرج كاملاً مكملاً بما جاء في شرع الإسلام المتمم لكل ما سبقه الآتي عن طريق محمد بن عبد الله خاتم الرسل عليه الصلاة والسلام.

هذا من نبر الإسراء. وأما الدلالة الأخرى العظيمة فهي من المعراج وهو سفرة أفقية صعود من الأرض إلى السماء، واتصال مكين وأصيل بين المكلف وربّه وأنه متعلق به ومتصل به اتصال افتقار وحاجة إلى هداية العلي المتعال وأن عليه أن يأخذ ويعمل بهذه الهداية الموصلة إلى الصفاء الخالص من شوائب ماديّات الأرض ومحيطها ألا وهو الوصول إلى سدرة المنتهى التي هي غاية الكمال والطهر والصفاء ثم ما انتهى به هذا الصعود والارتقاء حيث رجع بأثمن هدية وأفضل وأكرم عطية تلقاها من لدن ربّه تعالى عنوان الهداية الكبرى وروح السيادة العظمى وفلسفة اختيار الفطرة الصافية النقية المفضية إلى سعادة الحياة الرغدة الموصلة إلى النهاية السعيدة بعد مفارقة الحياة، ألا وهي استحقاق النعيم المقيم السرمدي الدائم بلا زوال. عنوان هذه الهدية التي لا أعلى منها هدية مشروعية الصلاة التي هي السعادة الرضية المرضية التي إن صلحت كان الشأن أن يصلح من ورائها سائر التكاليف الشرعية بصورة العكس غير متصورة في هذه القضية ومن هنا جاء بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة التكاليفية.

في أثناء هذه الرحلة الأفقية المبتدأة والمحفوفة بكل تكريم وتبجيل للرسول العظيم من قبل مولاه الأعلى رب الدنيا والآخرة رب الخلائق أجمعين المتمثل في تسخير ملائكة له المتوجهة بجبريل عليه السلام الملازم له عليه الصلاة والسلام من بداية مسراه ومعظم خطوات معراجها غاية وصوله إلى سدرة المنتهى التي توقف دونها جبريل واختص بالتدرج إليها خاتم الرسل عليه أفضل الصلاة والتسليم الأمر الذي تحسّر منه جبريل قائلاً: "هنا يترك الحبيب حبيبه" ولكنها هي السعادة درجات يمنحها تعالى حسب ما سبق في علمه من التقديرات كما كان للضيف المعلى المجتبي كل الترحيب والتبجيل ممن التقى بهم من ملائكة السماوات والأنبياء السابقين الملتحقين بالمال الأعلى حتى ظهر وبان للعيان وراثه دين الإسلام لكل سابق من الأديان.

ثم من ثمرة هذه الرحلة القدسية ما كشفه رب البرية من ثمرة و نتيجة التكاليف الشرعية حيث عرض عليه شريط حصائل أنواع المكافآت المستحقة للمكلفين التي ستصدر فضاء عادلاً وقسطاساً مستقيماً من قبل رب العلمين حتى يكون المكلف واقفاً على بيته من أمره مبيناً له نتيجة فعله. وفي تقديم جبريل لرسولنا عليه الصلاة والسلام قبل الشروع بالرحلة زاد السفر والعدة قدحين أحدهما في خمر وآخر فيه لبن فاختر عليه الصلاة والسلام إناء اللبن إعلاناً بصفاء الدين وطهارته وصلاحيته لكل الأنام كصلوحية اللبن لكل الأجسام والأبدان إذ هو غذاء أوجد لكل فطيم ولكل حي في كل طور من حياته وإن كان سقيماً لذا قال له جبريل عندها "اخترت الفطرة" أي السلامة ويقين السعادة وحسن الخاتمة الناتجة عن صفاء السريرة وخلوص النية في شق الصدر وإخراج حظ الشيطان منه الذي كان بداية التثنية فبباركت خطواتها وسعدت محطاتها وسمت غايتها.

والله أسأل أن يجزل ثوابه وجميل عطائه لكل محسن ظنّه فيه معلق لما عليه في حلول الضياء بعد الظلام والهناء والاستقرار بعد الظلم والعار وأن يزيد قوة وإشعاعاً في صحوة الإسلام حتى يكون في كل الأرض والأوطان إته سميع قريب مجيب للدعاء. وله الحمد أولاً وآخراً.

فقير ربّه تعالى وخادم العلم الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسها وسيئات أعمالنا من يهدي الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له نصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.
أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله وأحسن الهدى هدى محمد وخير الملة ملة إبراهيم وأحسن القصص هذا القرآن وشر الأمور محدثاتها وكلّ محدثة بدعة وكلّ بدعة ضلالة وكلّ ضلالة في النار.

(1) — مقدّمة

وبعد فإنّ طلائع الأمة الإسلامية وهم يتلمسون طريقهم إلى القرآن وإلى التمكن، لا ينبغي أن يغيب عنهم أنهم يطرقون بذلك أبواب حقبة كاملة من تاريخ الإسلام والإنسان، حقبة تحمل في داخلها أربعة عشر قرناً من لحظة التنزيل العظيم في غار حراء إلى لحظة الغروب المأساوية المدوية في أسطنبول مطالع القرن العشرين، وتحمل في داخلها كلّ دقائق الصراع الدموي الغير العادل والغير المتكافئ من هجومات المغول والتتار إلى الحملات الصليبية الحاقدة إلى سقوط غرناطة وضياع الأندلس إلى لحظة هبوط جند نابليون على أبواب الأزهر إلى دخول الصهاينة إلى قلب القدس إلى اقتحام بيروت إلى مجازر دير ياسين وصبرا وشاتيلا وبرج البراجنة وتل الزعتر،، الخ.

إن أبناء الأمة وهم ينظرون إلى دقائق هذا التاريخ الطويل يحملون في داخلهم آلام الهزائم والتراجعات في عواصم بلداننا التي تحولت إلى مقار للإدارات الإستعمارية في قاعات الصحافة وصفحات الكتب، وفي وكالات السمسرة التجارية وآلات المصانع الغربية ومخازن الدقيق المستورد وهي تحمل مع ذلك ورغم كلّ ذلك وهج الصعود القرآني وحرية العبودية لله وحده.

إنّ الأمة تنطلق اليوم من آلام هزائمها ومن آمالها في الإنعتاق والتحرر لتخوض المعركة بعقيدة ربّها ودم أبنائها وأرواح شهدائها، معركة الجهاد في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان.

إنّ أمة تخوض معركة من هذا القبيل، وبهذا الحجم لا بدّ لها من رصيد تاريخي ومستند عقائدي متين متانة متطلبات الصراع حتى تقدر رغم قلة العتاد على مواجهات أسطورة الرجل الذي لا يعرف الهزيمة وآلية الدمار الحربية التي تتفنن الحضارة الغربية في صنعها وحملات المسخ الثقافي التي تغزونا من كلّ جانب، وإنّ السيرة النبوية وحدها فضل عن التاريخ الإسلامي الطويل كفيلاً بأن تمثل أرضاً خصبة للنظر والتحقيق نقف عليها فننظر كيف امتزج الغيب بالشهادة في تجربة بشرية رائدة صاغ معالمها رجل من جلدتنا يتكلم لغتنا ويحمل همومنا وآلامنا وآمالنا يكتب لأمتة المجد والخير "كنتم خير أمة أخرجت للناس" ولا يسعنا المقام هنا لأن نتحدث عن السيرة في مختلف مراحلها ولكن حسبنا أن نقف بمناسبة ذكرى الإسراء والمعراج على بعض معاني هذا الحديث العظيم في تاريخ الرسالة الإسلامية الخالدة.

إنّ العادة التي جرى عليها الناس في تناول الإسراء والمعراج في الحديث عن الجانب الذي يتصل بقطع المسافات وطى المكان والعروج من سماء إلى سماء.

وهذا الموضوع بكلّ تفصيلات معروف عادة لدى المسلمين والتذكير به لازم في الاحتفال بهذه المناسبة، إلا أنّ من الواجب التذكير به في كلّ الأحوال خاصة فيما تعرّض له الرسول صلى الله عليه وسلّم من مشاهد المعراج لأنّ مقصدها واضح وهو تربية المسلم وتزكية النفس واستقامة الأسرة وإصلاح الأمة. لذلك سوف لن نتعرّض إلى إثبات الحادثة بالأدلة الحسية والمعنوية، لأنّه لم يكن لمسلم أبداً مناقشة أصل معلوم من الدين بالضرورة فضلاً عن الشكّ فيه إلا إذا أصاب عقله لوثة جدل الجاهل ثمّ أنّه ما الفائدة من مناقشة قضية ليس وراءها عمل، ولقد نهى السلف عن الخوض فيما ليس وراءه عمل، ولقد أثر عنهم مقولة "كلّ علم ليس وراءه عمل فالخوض فيه باطل".

قال تعالى "سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ" الإسراء 1. وقال أيضاً: "وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ . مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ .

وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ . عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ . ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ . وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ . ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ . فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ . فَأُوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أُوْحَىٰ . مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ . أَفَتُحْمَرُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ . وَلَقَدْ رَأَهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ . عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ . عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ . إِذْ يَغْشَى السُّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ . مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ . لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ " 17-1 النجم. ومن ثم لا نرى مجالاً لذكر الجدل الطويل الذي ثار قديماً ويثور حديثاً عن طبيعة هذه الواقعة هل كانت رؤية في اليقظة أو رؤيا في المنام، أهي بالروح أم بالجسم أم بهما معاً، لأسباب منها:

(1) لأننا مسلمون ندرك من طبيعة القدرة الإلهية، ولذلك لا نستغرب شيئاً "لأن قانون الله في الفعل ليس كقانون أي مخلوق في الفعل وكما يختلف الفعل باختلاف الفاعل يختلف كذلك بقوة ذلك الفاعل والزمن يتناسب مع القوة تناسباً عكسياً، فكلما زادت القوة قل الزمن" **الشعراوي الإسراء والمعراج ص 33 بتصرف.**

(2) "إننا ندرك طبيعة النبوة ولذلك لا نستغرب في الواقعة شيئاً لأن طبيعتها اتصال بالمال الأعلى والوصول إليه بوسيلة معلومة أو مجهولة ليست الأغرب من الاتصال بالمال الأعلى والتلقي منه وفعلاً قد صدق أبو بكر الصديق رضي الله عنه وهو يرد المسألة المستغربة المستهولة عند القوم إلى بساطتها وطبيعتها" **إني لأصدق له لأبعد من ذلك أصدقه بخبر السماء" سيد قطب: في ظلال القرآن 211/4 بتصرف.**

إنه جدل شكلي يدل على خفة الإيمان في النفوس وضعف لمقاصد الإسلام العظيم من ذكر الأحداث، أنه لا يقف على سرد الأحداث والتفصيل فيها، إنه يهدف إلى التريبة "فلا تُمار فيهم إلّا مرآة ظاهراً" **"الكهف 22"** لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب" **يوسف 12**

من أجل ذلك، سنقف عند الدروس والعبر التي يمكن أن نستخلصها من هذه الحادثة بعد ذكر الإطار التاريخي للحادثة وذكرها في كتب الحديث مع الإشارة إلى أمرين:

أولاهما: إن فقه السيرة يبقى جهداً مرتبطاً بالباحث، فإن أصاب فمن الله وله أجران وأن أخطأ فمن نفسه وله أجر واحد، وإن أصاب فمن الله تعالى وحده.

ثانها: إن واضع هذا البحث لا يدعى أنه أنشأ كل هذه الاستنتاجات من عنده، بل جمع قدر الإمكان ما كتب حول الموضوع من طرف الدعاة وأهل العلم من الملة.

(II) – الإطار التاريخي

" إن جهاد الدعوة الذي حمله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم على كواهل عراضه لعواصف عاتية من البغضاء والافتراء ومزق شمل أتباعه، فما ذاقوا مذامناً به راحة الركون إلى الأهل والمال" **محمد الغزالي فقه السيرة ص 139**، وكان آخر العهد بمشاق الدعوة المقاطعة الاجتماعية والاقتصادية والنفسية التي وقعت للجماعة الأولى في شعب أبي طالب، وهي بلغة العصر السجن الذي دام ثلاث سنوات، لا قوا فيها مرارة العزلة وكفر الجوع وشناعة الحرب النفسية، ومات بعد ذلك الركنان الذين كانا يمثلان الحماية الداخلية للرسول صلى الله عليه وسلم: خديجة رضي الله عنها وعمه أبو طالب.

إنه عام الحزن و عام الطرد الشنيع من " ثقيف " ودخول مكة في جوار مشرك، وكانت الأحداث تتلاحق والاضطهاد الوثني يزداد عنفاً وشراسةً ويزيده صلى الله عليه وسلم فتكاً وإيلاماً وكان إرادة الله كانت تعد من وراء الظلام الذي ازداد عتمة وكثافة بالفجر القادم الذي لا ريب فيه، ولن يكون ذلك إلا بالأسباب، وهل بعد الأسباب التي منحها الرسول صلى الله عليه وسلم فكره وأعبابه وطاقاته وهمومه جميعاً بقدرة على أن تحقق وعد الله عز وجل، لقد بذل الرسول صلى الله عليه وسلم آخر مجهود سلمي يستطيع أن يبذله بشر، فجاءت الرحلة إعلاناً عن انتهاء أسباب وبدايتها من جديد ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذ كل الأسباب السلمية لنصرة الدعوة، ولكن أعيته هذه الأسباب فوقف يسأل الله تعالى في دعاء فيه كل مقومات الإيمان واليقين يكشف بكل جلاء، أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد استفذ كل الأسباب التي بحيلته، وأنه لم يجد إلا عدواً وإلّا بعيداً، فلا بد إذن أن تتدخل القدرة الإلهية. " فسمع الله ضراعة رسوله وأراد أن يبين له أن جفاء الأرض لا يعني أن رب السماء تخلى عنك ولكني سأعوضك عن جفاء الأرض بحفاوة السماء وعن جفاء عالم الناس بعلم الملا الأعلى وأريك من آياتي ومن قدرتي ومن أسراري في كوني ما يعتيك طاقة وشحنة، إن الله الذي أراك هذه

الآيات قادر على أن ينصرك ولن يتخلى عنك ولكن الله تركك للأسباب أولاً لتجتهد فيها حتى تكون أسوة لأمتك في ألا تدع الأسباب وترفع أيديها إلى الله" **الشعراوي الإسراء والمعراج ص 30**. وأنه لما تنتهي من الأخذ بالأسباب تأتي نصره خالق الأسباب: الأسباب الحقيقية العليا وهي النجدة القوية لتكون الأداة الفاعلة في منطلق الدعوة من جديد

ويمكن أن نقول: لقد جاءت حادثة الإسراء والمعراج " تثبيتها للرسول صلى الله عليه وسلم على طريق المقاومة الطويل وتكريما له في أعقاب سنين طويلة من العمل والصمود والكدح وتتويجا لهذه السنين الصعبة " **د. عماد الدين خليل : دراسة في السيرة ص 140**. ومسحا للآلام وغرسا للأمل وتأكيدا لمعية الله تعالى مع حبيبه ووصفيه ورفعاً لمنزلته نظراً لأفعاله عليه السلام بكونها مهذبة خالصة عن شوائب الرياء مقرونة بالصدق والوفاء.

"وقعت هذه الحادثة قريبا من منتصف فترة الرسالة التي مكثت ثلاثة وعشرين عاما، وبذلك كانت علاجاً محت عناء الماضي ووضع بذور النجاح للمستقبل" **الغزالي فقه السيرة ص 140**

(III) --- الحادثة في كتب السيرة:

استفاضت الأحاديث النبوية في ذكر حادثة الإسراء والمعراج، ولقد رويت عن كثير من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم يكمل بعضها بعضاً، كما استفاض في ذكرها الإمام "السيوطي" في كتابه "الخصائص الكبرى".

الإسراء

روى الإمام أحمد عن مالك بن صعصعة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "بينما أنا في الحطيم (أو الحجر) مضطجعا إذ أتاني آت فجعل يقول لصاحبه الأوسط بين الثلاثة قال: فاتاني فقد (فشق ما بين هذه إلى هذه (صدره) قال: فاستخرج قلبي، قال: فاتيت بطست من ذهب مملوءة إيمانا وحكمة فغسل قلبي بماء زمزم ثم ملئء حكمة وإيمانا ثم أتيت بالبراق وهو دابة أبيض بين البغل والحمار، في فخذيه جناحان يحفز (يدفع) بهما رجله، يضع يده في منتهى طرفه، فلما دنوت منه لأركبه شمس (نفر ولم يمكنه من ركوبه)، فوضع جبريل يده على معرفته ثم قال: ألا تستحي يا براق مما تصنع؟ فوالله ما ركبك عند الله قبل محمد أكرم على الله منه، قال: فاستحيي حتى ارفض (سال وترشش) عرقا، ثم قرحت ركبته، ثم خرج معي (جبريل) لا يفوتني ولا أفوته حتى أتيت بيت المقدس

فاتى (8) على عجوز (وهو في طريقه إلى بيت المقدس) على جانب الطريق (حاسرة عن ذراعيها، عليها من كل زينة خلقها الله تقول: يا محمد انظرنى أسألك، فلم يجبه ولم يقم عليها) * فقال: ما هذه يا جبريل؟ قال: سر يا محمد فسار ما شاء الله أن يسير، ثم قال له جبريل: أما العجوز التي رأيت على جانب الطريق فلم يبق من الدنيا إلا كما بقي من عمر تلك العجوز (أما إنك لو أجبتها أو أقمت عليها لا ختارت أمتك الدنيا على الآخرة) *

فلما وصل بيت المقدس (9) وجد فيه إبراهيم وموسى وعيسى في نفر من الأنبياء فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بهم، ثم أتى بإناءين، في أحدهما خمر وفي الآخر لبن، قال فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم إناء اللبن فشرب منه وترك إناء الخمر. قال له جبريل: هديت للفطرة، وهديت أمتك يا محمد، وحرمت عليكم الخمر".

(8) رواه أبو جعفر بن جرير عن أنس بن مالك.

* الزيادة عن الحافظ أبي البيهقي عن أبي سعيد الخدري.

(9) رواه ابن هشام عن أبي إسحاق عن الحسن.

* هذه الزيادة للحافظ أبي بكر البيهقي عن أبي سعيد الخدري.

المعراج

روى ابن هشام عن ابن إسحاق عن أبي سعيد الخدري قال: "سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لما فرغت مما كان في بيت المقدس أتيت بالمعراج. ولم أر شيئا قط أحسن منه وهو الذي يمد إليه

ميتكم عينيه إذا حضر (عجباً له) فأصعدني صاحبي فيه، حتى انتهى بي إلى باب من أبواب السماء، يقول له: باب الحفظة عليه ملك من الملائكة، يقول له: إسماعيل، تحت يديه اثنا عشرة ألف ملائكة، تحت يدي كل ملك منهم اثنا عشر ألف ملك. قال: يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حدث بهذا الحديث: " وما يعلم جنود ربك إلا هو " فلما دخل بي قال: من هذا يا جبريل؟ قال: (هذا) محمد. قال: أو قد بعث؟ قال: نعم فدعا بخير.

فتلقنتني الملائكة حين دخلت السماء الدنيا، فلم يلتقي ملك إلا ضاحكا مستبشرا، يقول خيرا ويدعو به، حتى لقيني ملك من الملائكة. فقال مثل ما قالوا، ودعا بمثل ما دعوا به إلا أنه لم يضحك، ولم أر منه من البشر مثل ما رأيت من غيره، فقلت لجبريل: يا جبريل من هذا الملك الذي قال لي كما قلت الملائكة ولم يضحك (إلي). ولم أر منه من البشر مثل الذي رأيت منهم؟ قال: فقال لي جبريل: أما إنه لو ضحك إلى أحد كان قبلك، أو كان ضاحكا إلى أحد بعدك، لضحك إليك، ولكنه لا يضحك هذا مالك خازن النار، ثم إذا أنا بأدم كهينته يوم خلقه الله تعرض عليه أرواح ذريته، فإذا مرت به روح المؤمن منهم سرّ بها وقال: روح طيبة هرجت من جسد طيب" اجعلوها في عليين * و إذا مرت به روح الكافر قال روح خبيثة خرجت من جسد خبيث" اجعلوها في سجين"

-- قال: ثم رأيت رجالا لهم مشافر كمشافر (شفاه) الإبل، في أيديهم قطع من النار كالأنفهار (حجر صلب) يقذفونها في أفواههم فتخرج من أدمعهم. فقلت من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء أكلة أموال اليتامى ظلما (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا).

النساء 15

-- قال: ثم رأيت رجالا لهم بطون لم أر مثلها قط. بسبيل آل فرعون يمرون عليهم بالإبل المهيومة (العطاش) حين يعرضون على النار، يطنونهم لا يقدرّون على أن يتحولوا من مكانهم ذلك. قال قلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء أكلة الربا الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس". البقرة 274

-- قال: ثم رأيت رجالا بين أيديهم لحم سمين طيب، إلى جنبه لحم غث منتن، يأكلون من الغث المنتن، ويتركون السمين الطيب. قال قلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يتركون ما أحل الله من النساء ويذهبون إلى حرم الله عليهم منهن.

-- قال: ثم رأيت نساء معلقات بثديهن، فقالت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء اللاتي أدخلن على الرجل من ليس من أولادهن.

-- قال، ثم رأيت أقواما يقطع من جنوبهم اللحم فيلقمونه فيقال له كل كما كنت تأكل من لحم أخيك قال: قلت من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الهمازون اللمازون.

قال أبو هريرة " ... فأتى على قوم يزرعون في يوم ويحصدون في يوم كلما حصدوا عاد كما كان. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: يا جبريل ما هذا؟ قال: هؤلاء المجاهدون في سبيل الله تضاعف لهم الحسنة بسبعمان ضعف" وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين" رواه أبو حنيفة بن جرير.

-- ثم أتى على قوم ترسخ رؤوسهم بالصخر كلما رضخت عادت كما كانت ولا يفتر عنهم من ذلك شيء. فقال: ما هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين تتناقل رؤوسهم عن الصلاة المكتوبة

ثم أتى على قوم على قوم على أقبالهم رقاع وعلى أدمعهم رقاع يسرحون كما تسرح الإبل والغنم ويظاكلون الضريع والزقوم ورضف جهنم وحجارتها. قال: فما هؤلاء، يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين لا يؤدون صدقات أموالهم (الزكاة) وما ظلمهم الله تعالى شيئا وما الله بظلام للعبيد

-- ثم أتى على خشبة على الطريق لا يمر بما ثوب إلا شقّيته ولا شيء إلا خرقتة. قال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا مثل قوام من أمتك يقعدون على الطريق فيقطعون ثم تلا: (ولا تقدوا بكل صراط توعدون وتصدون)

-- ثم أتى على رجل قد جمع حزمة عظيمة لا يستطيع حماها وهو يزيد عليها فقال: ما هذا يا جبريل؟ هذا الرجل من يكون عليه أمانات الناس لا يقدر على أدائها وهو يريد أن يحمل عليها

-- ثم أتى على قوم تقرض ألسنتهم بمقارض من حديد كلما قرضت عادت. كما كانت لا يفتر عنهم من ذلك شيء فقال: ما هذا يا جبريل؟ فقال هؤلاء خطباء الفتنة.

ثم أتى على ملك وبين يديه آدمي وبين الملك كلوب من حديد، فيضعه في شذقه الأيمن فيشقّه حتى ينتهي إلى أذنه. ثم يأخذ في الأيسر فيلتتم اليمين ويسأل جبريل عنه فيقول له: أولئك كانوا يمشون بين المؤمنين بالنميمة ليُفرقوا بينهم فهم يعدّون بها حتى يصيروا إلى النار *
قال أبو سعيد الخدري: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ثم أصدني إلى السماء الثانية، فإذا فيها ابنا الخالة: عيسى بن مريم، ويحي بن زكريا قال: ثم أصدني إلى السماء الثالثة، فإذا فيها رجل صورته كصورة القمر ليلة البدر؛ قال: قلت: من هذا يا جبريل؟ قال: هذا أخوك يوسف بن يعقوب. قال: ثم أصدني إلى السماء الرابعة، فإذا فيها رجل فسألته: من هو؟ قال: هذا إدريس - قال: يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ورفعناه مكانا عليا" - قال: ثم أصدني إلى السماء الخامسة، فإذا فيها كهل أبيض الرأس واللحية عظيم العثون، لم أر كهلا أجمل منه؛ قال: قلت من هذا يا جبريل؟ قال: هذا المحبب في قومه هارون بن عمران. قال: ثم أصدني إلى السماء السادسة، فإذا فيها رجل آدم طويل أقتى، كأنه من رجال شنوءة؛ فقلت له: من هذا يا جبريل؟ قال: هذا أخوك موسى بن عمران. قال: ثم أصدني إلى السماء السابعة، فإذا فيها كهل جالس على كرسي إلى باب البيت المعمور، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، لا يرجعون فيه إلى يوم القيامة. لم أر رجلا أشبه بصاحبكم، ولا صاحبكم أشبه منه؛ قال: قلت: من هذا يا جبريل؟ قال هذا أبوك إبراهيم" رواه ابن هشام عن ابن اسحاق وعن أبي سعيد الخدري.

* ثم رفعت إلى سدرة المنتهى (فإذا نبقاها مثل قلال هجر وإذا ورقها مثل آذان الفيلة) وإذا فيها عين تجري يقال لها سلسيل فينشق منها نهران: أحدهما الكوثر والآخر يقال له نهر الرحمة فاغتسلت فيه فغفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر. ثم إنني رفعت إلى الجنة فاستقبلتني جارية فقلت لمن أنت يا جارية قالت لزيد بن حارثة وإذا بأنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمته وأنهار منخمر لذة للشاربين؛ وأنهار من غسل مصفى، وإذا رمانها كالدلاع عظما وإذا أنا بطيرها كأنها بختكم هذه فقال عندها صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى قد أعد لعبده الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. قال ثم عرضت علي النار فإذا فيها غضب الله وزجره ونقمه ولو طرحت فيها الحجارة والحديد لأكاتها ثم أغلقت دوني ثم إنني رفعت إلى سدرة المنتهى فتغشاني فكان بيني وبينه قاب قوسين أو أدنى. قال ونزل على كل ورقة منها ملك من الملائكة قال وفرضت علي خمسون صلاة، وقال لك بكل حسنة عشر فإذا هممت بالحسنة فلم تعملها كتب لك حسنة فإذا عملتها كتبت لك عشرا؛ وإذا هممت بالسينة فلم تعملها لم يكتب عليك شيء. فإذا عملتها كتبت عليك سينة واحدة؛ ثم رجعت إلى موسى فقال فما أمرك ربك؟ قلت بخمسين صلاة قال ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك فإن أمتك لا تطيق ذلك، ومتى لا تطيقه تكفر. فرجعت إلى ربي فقلت يا رب خفف عن أمتي فإنها أضعف الأمم فوضع عني عشرا وجعلها أربعين فما زلت أختلف بين موسى وربّي كلما أتيت عليه قال لي مثل مقالته حتى رجعت إليه فقال لي بم أمرت فقلت أمرت بعشر صلوات قال ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك فرجعت إلى ربي فقلت أي رب خفف عن أمتي فإنها أضعف الأمم فوضع عني خمسا وجعلها خمسا فناداني عندها تمت فريضتي وخففت عن عبادي وأعطيتهم بكل حسنة عشر أمثالها ثم رجعت إلى موسى فقال بم أمرت؟ فقلت بخمس صلوات قال ارجع إلى ربك فإنه لا يؤوده شيء فاسأله التخفيف لأمتك فقلت رجعت إلى ربّي حتى استحييت".

قال الحسين * رواه أبو بكر البيهقي عن أبي سعيد الخدري وكان فيما بلغني عن أم هاني بنت أبي طالب رضي الله عنها، واسمها هند، في مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنها كانت تقول: "ما أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وهو في بيتي، نام (نام) عندي تلك الليلة في بيتي، فصلّى العشاء الآخرة، ثم نام ونمنا، فلما كان قبيل الفجر أهينا (أيقضا) رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما صلى الصبح وصلينا معه قال: يا أم هاني لقد صلّيت معكم العشاء الآخرة كما رأيت بهذا الوادي، ثم جئت بين المقدس فصليت فيه، ثم قد صلّيت صلاة العداة معكم الآن كما ترين، ثم قام ليخرج، فأخذت بطرف رداءه، فتكشف عن بطنه كأنه قبطية (نسبة إلى القبط بمصر) مطوية، فقلت له يا نبي الله، لا تحدّث بهذا الناس فيكذبوك ويؤذوك؛ قال والله لأحدثهموه. قلت: فقلت لجارية لي حبشية: ويحك! اتبعي رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تسمعي ما يقول للناس، وما يقولون له. فلما خرج رسول

الله صلى الله عليه وسلم إلى الناس أخبرهم فقال أكثر الناس: هذا والله الأمر البين، والله إن العير لتطرد، شهرا من مكة إلى الشام مدبرة، وشهرا مقبلة، أفذهب ذلك محمد في ليلة واحدة ويرجع إلى مكة! قال: فارتد كثير ممن كان أسلم وذهب الناس إلى أبي بكر، فقالوا له: هل لك يا أبا بكر في صاحبك، أنه قد جاء هذه الليلة بيت المقدس وصلى فيه ورجع إلى مكة. قال: فقال لهم أبو بكر: إنكم تكذبون عليه؛ فقالوا: بلى، ها هو ذاك في المسجد يحدث به الناس؛ فقال أبو بكر: والله إنه ليخبرني أن الخبر ليأتيه من السماء إلى الأرض في ساعة من ليل أو نهار فأصدقه، فهذا أبعد مما تعجبون منه، ثم أقبل حتى انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا نبي الله. أحدثت هؤلاء القوم أنك جنت بين المقدس هذه الليلة، قال: نعم، قال: يا نبي الله، فصفه لي، فإني قد جنته - قال الحسين: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فرفع لي حتى نظرت إليه - فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصفه لأبي بكر ويقول أبو بكر: صدقت، أشهد أنك رسول الله، كلما وصف له منه شيئا، قال: أشهد أنك رسول الله، حتى انتهى، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر: وأنت يا أبا بكر، فيومئذ سمّاه الصديق. ولكن الناس لم يستيقنوا مثل أبي بكر وقالوا: ما آية ذلك يا محمد؟ فإنا لم نسمع بمثل هذا قط، قال: آية ذلك أنني مررت بعير بني فلان بوادي كذا وكذا فأنفروهم حسّ الدابة، فند لهم بعير، فدللتهم عليه، وأنا موجّه إلى الشام. ثم أقبلت حتى إذا كنت بضجنان - جبل بناحية تهامة، ويقال: هو على جريد من مكة، وقال الواقدي: بين ضجنان ومكة خمسة وعشرون جبلا" - مررت بني فلان، فوجدت القوم نياما ولهم إناء فيه ماء قد غطوا عليه بشيء، فكشفت غطاءه وشربت ما فيه، ثم غطيت عليه كما كان؛ وآية ذلك أن عيرهم الآن تصوب - ينزل من علي - من البيضاء - عقبة قرب مكة تهبطك إلى فخ وأنت مقبل من المدينة تريد مكة، أسفل مكة من قبل ذي طرى -، ثنية التنعيم، يقدمها جمل أورق - الذي لونه بين الغيرة والسواد - عليه غرارتان، إحداهما سوداء، والأخرى برقاء - التي فيها ألوان مختلفة - . قالت: فابتدر القوم الثنية فلم يلقهم أول من يريد أن الجمل كان أول ما لقيهم - الجمل كما وصف لهم، وسألوهم عن الإناء، فأخبروهم أنهم وضعوه مملوءا ماء ثم غطوه، وأنهم هبوا فوجدوه مغطى كما غطوه، ولم يجدوا فيه ماء وسألوا الآخرين، وهم بمكة، فقالوا: صدق والله، لقد أنفرنا في الوادي الذي ذكر، وند لنا بعير، فسمعنا صوت رجل يدعونا حتى أخذناه".

" إن حادث الإسراء والمعراج ورد في روايات عدّة، منها الصحيح ومنها الحسن أخرجها أئمة الحديث رضوان الله عليهم يذكر بعضها ما لم يذكره البعض الآخر تتفق في جوهرها ولا تتعارض في جزئياتها بعضهم منتصرة ويرويها بعضهم متوسطة ويرويها بعضهم مطوّلة وكلّ صورة منها يتعدّد سندها، أي يختلف الرواة الذين رووها. ومع ذلك تكون الصورة واحدة في جوهرها. الجوهر إذن متواتر وإذا أخذنا برأي الإمام ابن حزم في أن المتواتر ما روي فإن التفاصيل في أغلبها تكون أيضا متواترة. كلّ هذا مع ثبوت الأمر في جوهره بالكتاب العزيز". د. عبد الحلیم محمود الإسراء والمعراج ص 76.

(IV) - الدروس والعبر

أ - شقّ الصدر: في شقّ صدر الرسول صلى الله عليه وسلم وهي بداية الحادثة دعوة للمسلمين إلى التوبة وتطهير القلب مرّات كما شقّ صدره عليه السلام مرّات كذلك. إن بداية طريق المسلم إلى الله تعالى تبدأ بالتوبة الخالصة النصوح. إنه لا بدّ من التوبة النصوح من كلّ ذنب لأنها الشرط الأساسي والأولي في " سلم معراج السالكين إلى الله ولأنها تجب ما قبلها ولأنها تضع الإنسان فور تحقّقه بها في مرتبة البراءة والطهارة والنقاء". د. عبد الحلیم محمود الإسراء والمعراج ص 69. إنه لا بدّ من طهارة القلب وتصفية النفس، ولا بدّ من شقّ الصدر واستخراج حظ الشيطان منه، لأن الطريق طويل وشاق، ولا يواصله إلا مخلص ليس للشيطان عليه سبيل، ولذلك عندما يتحدّث النصّ "القرآن والحديث و القدسي منه بالخصوص" على التوبة يفتح الباب على مصراعيه في أسلوب يسيل رحمة ورأفة".... يا عبادي! إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم" جزء من حديث أخرجه مسلم" ... قال إبليس لربه: بعزتك وجلالك لا

أبرح أغوي بني آدم ما دامت الأرواح فيهم فقال له ربه: بعزتي وجلالي لا أبرح أغفر لهم ما استغفروني" أخرجه أبو نعيم عن أبي سعيد.

يقول الإمام الفشير رحمة الله تعالى ومن لطائف المعراج ما خص به أول حالة في تلك الليلة بالطهارة، وقد شق قلب النبي صلى الله عليه وسلم مرتين: مرة في حالة صباه وهو بعد في حجر حليلة والمرّة الثّانية ليلة المعراج" د. عبد الحليم محمود الإسراء والمعراج ص 71، هذا وقد روي أيضا في حديث أخرجه الإمام أحمد أنه صلى الله عليه وسلم قد شق صدره وهو في سنّ العاشرة فهي ثلاث مرّات". وذكر القاضي عياض رحمة الله تعالى في الشفا أنه صلى الله عليه وسلم شق صدره أربع مرّات:...

الرابعة قبل نزول الوحي عليه صلى الله عليه وسلم". إن في شق الصدر دعوة إلى أن نتوجّه إلى الله تعالى تائبين عند الشروع في أيّ أمر له قيمة "كلّ أمر لا يبدأ بكر الله فهو أبتر" رواه التّسائي في عمل اليوم والليلة ص 346. وليست التّوبة هنا بمعنى التّوبة من الذنب، وإنما هي التجاء إلى الله تعالى وتشفع ليه سبحانه بتأكيد صفاء النّفس وطهارة القلب من أجل أن يسدّد الخطى ويمنح التّوفيق ويحفظ معه الأخطاء، ولذلك كان بدء الرّحلة شقّ الصدر وكانت نهايتها سدرة المنتهى، وهو دليل على أن التّوبة النّصوح تفتح لها أبواب السّماء قبولا وترفع صاحبها إلى علّيين.

ب - البراق: وفيه إشارة إلى أن القوّة المتفوّقة هي من أهمّ وسائل التّحرير: إن تحرير بلاد الإسلام كلّها وبالأخصّ منها أرض القدس يستلزم استعمال كلّ طاقات الأمة في أقصى حدودها وليس في حدودها الدّنيا. إنّه إعداد قوّة يتناسب مع طبيعة القدس كمفصل حضاريّ يتصارع للسيطرة عليه قوى متعدّدة يكتب النّصر فيها لمن يملك وسائل النّصر أكثر من غيره، ولقد خصّصنا القدس بالحديث بحكم الإشارة الواضحة لها في الحدث. إن امتلاك السّلاح المناسب والوسائل المكافئة لما يملكه العدو ضرورة حتمية لا نى عنها في معركة التّحرير.

ومن دراسة تاريخ فتوحات القدس أو اغتصابها من قبل المحتلين والغزاة يتبيّن بأنّ القوّة المهاجمة كانت تتمتع بتفوق واضح في وسائل القتال المنظور والتي لم يكن قد تمّ الاستعداد لها من قبل القوّة المدافعة. كما أنّ العقليّة الفاتحة كانت متميّزة عن الأخرى بقدرتها على الاستفادة من المعطيات الجغرافيّة والبشريّة والعسكريّة المتواجدة على أرض الصّراع في فلسطين. ولقد أدرك عدونا الصّهيوني ومن معه هذه الحقيقة فعمل على النهوض العلميّ والعملّي وسخره لخدمة سياساته الاستيطانيّة التّوسعيّة فملك التّكنولوجيا العسكريّة المتقدّمة والمتطوّرة وصنّعها واستطاع الدّخول إلى نادي الدّول النّوويّة، فملك القنابل النّوويّة ليكون سلاحه الاستراتيجي الرّادع، وخصّ مدينة القدس بأسلوب معماريّ فريد جعل منها قلعة متماسكة أمام هجمات السّلاح التّقليدي المتوقّع.

ومع أنّ محور "مكة - القدس" هو المعنيّ بامتلاك القوّة، وهو المعنيّ كذلك بالاستفادة من دروس التّاريخ "فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلكم" وهو المستهدف في العمل المستقبليّ إلا أنّه مازال - ولأسباب متعدّدة - غارقا في مآهات التّخلف والتّجزئة والتّبعيّة. فكيف يمكن لأمة أن تحقّق وجودها الدّاتي في عالم مضطرب متصارع إذا كانت لا تملك السّيطرة على غذائها ولا تصنع سلاحها. إنّ التّصنيع الحربيّ المبتدئ والذي يتواجد في بعض البلاد العربيّة والإسلاميّة ما زال يحبو في الصّناعة العسكريّة التّقليديّة إضافة إلى عرقلة نموّه نتيجة تصارع السياسات وتقلّباتها المفاجئة ونتيجة لغياب الضّمانات الكافية لحفظ سلاحها وصنعه، ولذلك كلّما همت دولة عربيّة لامتلاك سلاح استراتيجيّ يقع الإجهاز عليه، وما حدث الهجوم "الإسرائيليّ" على المفاعل النّوويّ العراقيّ سنة 1981 عنا ببعيد، وكما تهدّد اليوم الامبرياليّة الأمريكيّة على تدمير مصنع ليبيّا.

إنّ الصّناعة الحربيّة من أولى أسسها وجود علماء وفنّين مختصّين، ومن المؤسف أن نرى العقول العربيّة والإسلاميّة تهجر مواطنها الأصليّة لتستقرّ في بلاد الأطراف المعادية لافتقارها مناخ العمل الصّحيح المتمثّل في التّوحد الاستراتيجيّ للأهداف العربيّة والإسلاميّة والاستقرار السياسيّ والحريّة العلميّة واستقلال هذه الهياكل عن القرار السياسيّ بحيث لا تتأثر هذه المؤسّسات للتقلّبات العربيّة

وللتدخل الدولي. وفي غياب هذه الشروط لا يمكن للأمة أن تشهد لها إنتاجا عسكريا. وأذكر أنه قبل سنوات ولدت هيئة عربية للتصنيع الحربي شاركت فيها دول عربية من الخليج كدول ممولة مع مصر ذات الإمكانيات الفنية في هذا المجال. وما إن قام المقبور السادات بتوقيع ما يسمى بمعاهدة "كامب ديفيد" حتى بادرت الدول العربية باتخاذ جملة قرارات كان من نتائجها تصفية هيئة التصنيع الحربي العربية كرد على هذه الاتفاقية. وكان من الأولى الإبقاء على تلك المؤسسة واستمرارها، طالما أنها تنتج سلاحا!!! ألم يكن الأولى تعزيز القدرة العسكرية العربية لإفشال النهج الاستسلامي الذي غرسه السادات؟

لقد ساهم هذا القرار وغيره في استمرار ذلك النهج بل وفي تجديره وتعميقه وتغلغله في ذات الحكم العربي الذي خان الأمة وكسر رؤوسنا بالشعارات الكاذبة والمخادعة.

إن النظرة المستقبلية للقضية الفلسطينية تفترض قيام المؤسسات الصناعية العلمية والعسكرية العربية والإسلامية على أسس استراتيجية ثابتة لا تتأثر بالمتغيرات الآنية التي تحدث في كل جزء من الوطن العربي الكبير وتكون قادرة بعد ذلك على التعاون مع المؤسسات الصناعية الإسلامية ضمن منظور شامل لتحرير القدس وفلسطين كل فلسطين.

ج - الإناءان: في تقديم جبريل عليه السلام للرسول صلى الله عليه وسلم إناء اللبن والخمر عبر منها: (1) إقبال الأمة الإسلامية على الخير كله المتمثل في الحق والخير والعدل والسلام وترك ونبد الشر كله المتجسد في الظلم والفقر والاستبداد.

(2) إن الفطرة بطبيعتها نقية، إذ أن اللبن لا صنعة للإنسان فيه أبدا، تشربه كما هو وكما ينزل بل ربما يفسد إذ غيرت مكوناته الأصلية الطبيعية، في حين أن الخمر تخرجه عن فطرته من ثمرات النخيل والأعشاب والتي هي من نعم الله تعالى على الإنسان، فكيف يخرجها عن الفطرة فيتلف خصائصها؟ فكان جبريل عليه السلام يقول للرسول صلى الله عليه وسلم: "إنك لم تأخذ حاجة من حاجات الله وأدخلت عليها عملية إفساد، أما أن تأخذ الحاجة وتدخل عليها عملية إصلاح فلا بأس،

مأن تنضج اللحم وتطهو الخضر" الشعراوي الإسراء والمعراج ص 75.

(3) في الفطرة إشارة للعقل منفذ التكليف من الله تعالى والنعمة الكبرى الموصلة إلى الإيمان به عز وجل والالتزام بالتكاليف، لأنه لا تكليف بزوال العقل، والعقل مناط التكليف الصلاة والزكاة والجهاد التي رآها الرسول صلى الله عليه وسلم في هذه الرحلة المباركة كلها تستلزم وجود العقل، فكان الله عز وجل أراد أن يقول من خلال اللبن المقدم للرسول صلى الله عليه وسلم "أن الفطرة طبيعتها سليمة لا تفسدوها بتصرفاتكم واحذروا أن تفسدوا عقولكم أو أن تدخلوا عليها ما يحجب الحق ولعل هذا هو السبب في أن ذلك هو أول ما رآه الرسول صلى الله عليه وسلم بل قدم إليه أيضا" الشعراوي

الإسراء والمعراج ص 65 ... 76.

(4) إن الصفة الأولى لهذا الدين أنه دين الفطرة إذ أن سلامة الفطرة لب الإسلام ويستحيل أن تفتح أبواب السماء لرجل فاسد السيرة عليل القلب، ومن ثم أتى يستجيب الله عز وجل لعبد مطعمه من حرام وملبسه من حرام ألم تعلم أن الرسول صلى الله عليه وسلم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأتى يستجاب لذلك" رواه مسلم والترمذي، ولذلك لما طلب سعد بن أبي وقاص من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون مجاب الدعوة قال له: "أطب مطعمك تكن مجاب الدعوة" رواه الطبراني في الأوسط برقم 6640،

ورواه الحافظ أبو بكر بن مردويه.

(5) فيه تأكيد على تقبل المسلمين والدعاة منهم خاصة على كل ما هو فطري وسهل ميسر بين أنه حق أو حلال، فلا يعقدون الأشياء ويفلسفونها أو ينتطعون أو يغلون أو يتكفون أو يقبلون على المشتبه فيه فضلا عن أن يكون حراما شعارنا في ذلك قول عائشة رضي الله تعالى عنها: "ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين قط إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثما فإن كان إثما كان أبعد الناس منه".

د - المسجدان:

إن في ربط الرحلة بالمسجد الحرام والمسجد الأقصى أبعاد عقائدية عميقة وأبعاد سياسية مهمة:

الأبعاد العقائدية:

- (1) تربط بين عقائد التوحيد الكبرى من لدن إبراهيم وإسماعيل إلى خاتم النبيين عليهم الصلاة والسلام.
- (2) تربط بين الأماكن المقدسة لديانات التوحيد جميعاً.
- (3) أن النعم لا تستقر للمفسدين والظلمة، فبنو إسرائيل الذين أنعم الله عليهم النعم الكثيرة "يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين" البقرة 47، في أكثر من آية، إلا أنهم بطروا وأفسدوا وقتلوا أنبياءهم فحول الله عنهم النعم وأبدلها عليهم بالنقم.
- (4) تدل على تحويل النبوة من بني إسرائيل الذين ظلت النبوات دوراً طويلاً وفقاً عليهم. وظل بيت المقدس مهبط الوحي ومشرق أنواره على الأرض، فلما أهدروا كرامة الوحي وأسقطوا أحكام الله تعالى حلت بهم لعنة الله وتقرر تحويل النبوة عنهم إلى الأبد انتقالاً بالقيادة الروحية في العالم من أمة إلى أمة ومن بلد إلى بلد ومن قبلة إلى قبلة ومن ذرية إسرائيل إلى ذرية إسماعيل.
- (5) "الإيحاء إلى أن الله تعالى يجعل هذا الإسراء رمزا إلى أن الإسلام جمع ما جاءت به شرائع التوحيد والحنيفية من عهد إبراهيم عليه الصلاة والسلام الصادر من المسجد الحرام إلى ما تفرع عنه من الشرائع التي كان مقرها بيت المقدس ثم إلى خاتمها التي ظهرت من مكة أيضاً، فقد صدرت الحنيفية من المسجد الحرام وتفرعت في المسجد الأقصى ثم عادت إلى المسجد الحرام كما عاد الإسراء إلى مكة لأن كل سرى يعقبه تأويب" ابن عسور. التحرير والتوير 15/15.
- (6) تدل على أنها رحلة إعلان وراثته الرسول الأخير لمقدسات الرسل قبله واشتماله على هذه المقدسات وارتباط رسالته بها جميعاً.
- (7) "تربط قضية فلسطين بقضية العالم الإسلامي، وأن الدفاع عن فلسطين دفاع عن الإسلام نفسه، يجب أن يقوم به كل مسلم في شتى أنحاء الأرض، والتفريط في الدفاع عنها وتحريرها تفريط في جنب الإسلام وجناية يعاقب عليها كل مؤمن بالله ولرسوله" مصطفى السباعي. السيرة النبوية ص 110.
- (8) تدعو المسلمين عامة والدعاة المجاهدين خاصة إلى أن تكون القدس قبلة روحية نستمد منها نفحات وبركات أفضل صلاة وأحسنها وأخشعها وأكملها أقيمت في الدنيا" لا تشد الرحال....".
إنه لا يهدأ بال داعية مجاهد حتى يشد الرحال إلى هذه الثلاث، وقد يوفق الله تعالى أحداً أن يشد رحله إلى اثنتين منها، ولكنه يدرك بأن شد الرحال ما زال منقوصاً. إنه لا يهدأ بال مسلم حتى يصلي بالقدس إن شاء الله تعالى وهي محررة.
- (9) إن انطلاق رحلة الإسراء من المسجد وانتهاءها بالمسجد، ثم انطلاق المعراج من المسجد الأقصى وانتهاءها بالمسجد الحرام لدليل صادق على مركزية المسجد في عمل الحركة الإسلامية. فالمسجدان هما المركزان البارزان في الرحلة الأولى من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى. فهما المنطلق وهما الغاية، وهي رحلة تطول مسافتها وأمصارها، لم يظهر الله تعالى منها إلا الموقعين الشريفيين العظيمين وهي إلام من الله لرسوله بأن الإسلام سيفتح هذه المنطقة، وبأن المكان الذي صلى فيه رسولهم على المسلمين أن يتخذوه مسجداً، بل سيشدون إليه الرحال إليه، لأن الأقصى المبارك لم يكن مسجداً وقتها، بل كانت خاضعة تحت الوثنية الرومانية ورغم ذلك فقد وقع في ذلك المكان المبارك أشرف صلاة وأطهرها وأكملها وأنقأها وأخشعها وأحلاها تعبدًا، إنها جمعت الخالص والمصطفين الأخيار من الأنبياء والرسل بإمامة أفضلهم وسيد بني آدم محمد صلى الله عليهم وسلم جميعاً.
- (10) أن تنطلق مشاريع المسلمين من المسجد، ولذا انطلقت كل أعمال دولة الإسلام الأولى في عهد النبوة من المسجد، بل كان مقرها، فكان المسجد في هديه صلى الله عليه وسلم مكان العبادة والتعلم والشورى والقضاء واستقبال الوفود التي جاءت تعلن إسلامها، وكان مكان انطلاق غزواته صلى الله عليه وسلم كما كان أول عمل يقوم به عند رجوعه من معاركة الذهاب إلى المسجد للصلاة فيه واللقاء بالمسلمين.
- (11) إن جماع الخير في ارتياد المسجد، وذخيرة المسجد نعم زاد الانطلاق وزاد التصحيح والمراقبة وتوحيد الأمة وحماية عقيدتها، لأن المسجد هو موقع الفكر الواحد والعقيدة الصحيحة الثابتة الموجهة المصححة لكل ما يزيغ به الاجتماع، إنه موقع التربية والتعبئة وتسليح الأمة بأدوات النهضة وشروطها.

إنه الموقع المهم والأساسي للتنمية لأنه موقع صناعة الرجال، ذلك أن التنمية الناجحة لا بد لها من رجال يتصفون بالأمانة والصلاح، وأحسب أن الموقع المناسب لصنع ذلك النوع من الرجال هو المسجد.

الأبعاد السياسية:

12) إن الله سبحانه وتعالى حينما حدّد طرفي الرحلة المحمدية الفذة على الأرض بين موضعين، أولهما المسجد الحرام بمكة المكرمة وثانيهما المسجد الأقصى المبارك بالقدس، إنما كان يشير إلى الترابط العضوي بينهما، وإلى أنهما يشكلان طرفي معادلة أساسية لا تقبل الخلل ولا الزغل، وتهديد أحد طرفيها يعني بالضرورة تهديدا للطرف الآخر.

كما أنه تبارك وتعالى يشير بالإسراء من مكة إلى القدس إلى "وطن الإسلام" بل إلى قلب وطن المسلمين، وإلى أن هذا الوطن عبارة عن دائرة قطبها المسجد الحرام وطرف شعاعها المسجد الأقصى المبارك.

ومقتضى مفهوم "وطن الإسلام" أنه يضمّ قطعة من الأرض بين "المسجدين" المباركين ذات حرمة خاصة وكرامة خاصة وخطورة خاصة، في انتهاكها انتهاك لقلب الإسلام، وفي تهديدها تهديد لوجوده.

13) إن البلدين مكة والقدس توأمان في العروبة كما هما توأمان في الإسلام، وكلّ منهما كان منزلا لأبي العرب وجدّ نبي الإسلام إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وكان وطنا ثابتا لذريته، وكلّ منهما حظي منه بالدعاء، فقد دعا ربه أن يسبغ على مكة أثواب الأمن والطمأنينة "رب اجعل هذا البلد آمنا"، كما اختارها له ربه أن تكون منزلا لذريته، ورجا إبراهيم ربه أن يحسنه في أعين الناس وأن يحببه إلى قلوبهم "ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكروا" إبراهيم 37.

أما القدس فقد خصها الله تبارك وتعالى من عنده بالبركة هي وما حولها فقال عز وجل: "سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ" الإسراء:1، وجعل إليها القبلة الأولى وميز مسجدها المبارك بمثل ما ميز به الحرمين الشريفين، وساواه بهما في شدّ الرّحال وقصده من سائر الأبعاد ومقتضى التوأمية بين مكة والقدس أن يكون اختراق العدو لأحدهما اختراقا للآخرى وأن يكون الجهاد من أجل تحرير إحدهما هو بذات الوقت جهادا لتحرير الأخرى، وأن يكون القتال من أجلهما معا ولإنقاذهما معا فرض عين على كل مسلم ومسلمة من أقصى الأرض لأقصاها.

14) إن هذه الأمة تعرّضت في ماضيها القريب إلى اختبارات عديدة حصل فيها الاعتداء على "وطن الإسلام" وعلى "قلب الإسلام" وعلى المنطقة الحرام التي يحدها المسجدان من الشمال والجنوب، وذلك في أثناء الحملات الاستعمارية الدينية الغربية الحاقدة، وفي أثناء الإجتياحات المغولية الهمجية، وسقط "قلب الإسلام" في قبضة أعداء الإسلام وسيم الخسف والذلّ والاحتلال، ولكن ردة الفعل الإسلامية من العالم الإسلامي كانت دائما على مستوى المسؤولية والأهمية التي يشكلها ذلك الشريط المقدس بين مكة والقدس، مما يبين أن المسلمين في مختلف عصورهم وأحوالهم يعاملونه معاملة خاصة ويعتبرونه "المنطقة الحمراء" من وطنهم الإسلامي الكبير إذا تحررت تحرر الإسلام وإذا اطمأنت اطمأن الإسلام، وإذا خافت خاف الإسلام.

فما بال الأمة تقعد عن الجهاد في سبيل استنقاذ أولى القبليتين وثالث الحرمين والمنطقة الحمراء من وطن الإسلام، وما بالها تترك الأطفال والنساء هناك يقومون بأعباء الجهاد يقاتلون بصدور عارية وسواعد غضة طرية ولا سلاح لهم إلا حجارة الأرض.

أليس في جموع هذه الأمة رجال؟؟؟

15) لقد ربط الله سبحانه وتعالى بين بيت الله الحرام بمكة المكرمة وبين المسجد الأقصى المبارك في القدس الشريف، وذلك قبل تحرير بيت الله الحرام من قبضة المشركين، والمسجد الأقصى المبارك من قبضة الروم، وبهذا الربط كانت توضع القواعد الإستراتيجية للعمل الإسلامي المستقبلي.

فمن ذلك أن المبادئ والأهداف النهائية شيء والتعامل مع الواقع المادي للوصول إلى تحقيق المبادئ شيء آخر.

إن من المبادئ الأساسية في الإسلام أن لا تعترف بالمتغيرات الطارئة على بيت الله الحرام وبيت المقدس، فالأصل أن يسود فيهما التوحيد، وأن يخضعا لحكم المسلمين بصفقتهم يحملون رسالة خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم.

إن تلك المتغيرات لم تقف حجر عثرة أمام طواف النبي صلى الله عليه وسلم بالكعبة والأصنام قبل حجة الوداع إذ لم تكن قد هدمت بعد، أو أمام إسرائ النبي صلى الله عليه وسلم إلى القدس ومعراجه منها إلى السماء وهي رازحة تحت الاحتلال الروماني بديانته النصرانية المحرفة، فذلك الواقع الجاهلي الوثني لا يعطيه الشرعية أبدا ولا يمنحه الاعتراف بالوجود ولا التسليم له والخضوع له، طالما استمات أهل المبادئ على مبادئهم وتمسكوا بها وأصروا عليها. وبمعنى آخر فإن الاحتلال الصهيوني اليهودي لفلسطين المسلمة لا يحوله إلى وجود شرعي بالاحتلال وبالتقدم مهما طال الزمن، وينبغي ألا يتخذ هذا الواقع ذريعة لإضفاء الصفة القانونية والشرعية عليه.

16) حتى تكون الدولة الإسلامية قوية منيعة، لا بد لها من الإمساك بالركنين الأساسيين لها وهما: "مكة - القدس" ذلك أن فقدان أحدهما هو تهديد للركن الآخر، ومن ثم تصبح الأمة الإسلامية مهترزة غير متوازنة للعلاقة التبادلية - الجدلية - بين الركنين، فكل منهما يؤثر ويتأثر بالآخر. إن الدولة الإسلامية الأولى، بعد أن حررت ركنها الأول "مكة المكرمة" من الكفر والشرك، وصارت خالصة للإسلام، استطاعت تحقيق أمنها وتوازنها الطبيعي بتحريرها لمدينة القدس من الروم وجعلها تحت الحكم الإسلامي الرشيد.

إلا أنه لا بد أن نسجل أن مكة المكرمة - بلد الله الحرام - قد انفردت بمميزات عديدة على بيت المقدس، إذ حرم الله عز وجل بيت الله الحرام على غير المسلمين منذ نزول سورة براءة، ولم يخضع منذ ذلك التاريخ إلا للسلطة الإسلامية بالرغم من أن هذه السلطة قد اختلفت أعلامها وأشكالها وممارساتها خلال العصور المختلفة.

أما بيت المقدس فلقد أباحت له العهدة العمرية الموقعة من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أن يضم بين جنباته كل الناس عدا اليهود على أن تكون السلطة الإسلامية هي الحاكمة. ونظرا للموقع العقائدي الذي يتمتع به بيت المقدس عند الشرائع السماوية جميعا فلقد تحول إلى مفصل سياسي ومنعطف حضاري من ملكة استطاع أن يؤثر في رسم الأحداث العالمية.

إن جميع المتغيرات التي طرأت على بيت المقدس خلال تاريخه الطويل كانت تستهدف السيطرة على هذا المفصل والذي بدوره يتحكم فيما عداه حضاريا. والتوظيف السياسي المعاصر لهذه الحقائق يتطلب العمل الجاد على بناء محور "مكة القدس" أي إعادة صياغة الموقف الإسلامي لإعادة بناء القوة والرهبة للأمة الإسلامية جميعها ولتوفير الأمن والسلام لكل شعوب العالم، ومن هنا لا بد أن ينسجم الموقف الفلسطيني في تحركاته مع هذا المحور عاملا على ترسيخه وتجديره، كما يجب أن تدرك الدول الإسلامية أن مصالحها المادية والمعنوية مرتبطة ومرهونة بمصير القدس الشريف، وموقفها الصحيح يجب أن يكون إلى جانب الشعب الفلسطيني المرابط "شعب الحجارة"، في قتاله من أجل تحرير بيت المقدس المبارك خاصة وفلسطين كل فلسطين عامة من الصهيونية العالمية وأداتها ما يسمى "إسرائيل".

هـ - الإمامة: إن الكشف عن منزلة محمد صلى الله عليه وسلم ودينه ليس مدحا يساق في حفل تكريم بل هو بيان حقيقة مقررة في عالم الهداية منذ تولت السماء إرشاد الأرض، ولكنه جاء في إبانته المناسب "محمد الغزالي. فقه السيرة ص 139. وأن إمامة الرسول صلى الله عليه وسلم بالأنبياء والمرسلين لها أبعاد عقائدية عميقة وأخرى سياسية هامة:

أ - الأبعاد العقائدية:

1 أنه صلى الله عليه وسلم كان "خاتم سلسلة ذهبية من الأنوار الربانية التي يرسلها الله تعالى تهدي إلى الرشد وتقود إلى الله تعالى وتسمو بالمؤمنين درجات في معارج القدس لتصل بالجديرين منهم إلى الكمال المرجو عن الإرشاد الإلهي" د. عبد الحلیم محمود الإسرائ والمعراج ص 116

2 إن الرسول صلى الله عليه وسلم تخلق بأخلاق أكمل كتاب رباني، خاتم الكتب وأكملها والمهيمن عليها، فهو إذن أكمل رسول.

3 تصديق النبوات بعضها بعضا، وأن السابق منهم يمهد للأحق: " مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل ابتنى بيوتا فأحسنها وأجملها وأكملها إلا موضع لبنة من زاوية من زواياها فجعل الناس يطوفون ويعجبهم البنيان فيقولون ألا وضعت ههنا لبنة فيتم بنيانك فقال: فكنت أنا اللبنة". **صحیح مسلم**

4 إقرار مبين أن الإسلام كلمة الله تعالى إلى خلقه أخذت تمامها على يد محمد، وأنها بيعة منهم له ليعطوه القيادة الإنسانية قيادة التوحيد وأنها سلمت منه للأمة الأمرة بالمعروف والنهي عن المنكر الحافظة لحدود الله لما انحرفت الأمم السابقة.

5 اتجاه الداعية إلى الله قبل الشروع في أي عمل واستخارته أن يهدينا إلى الخير ويوفقنا إليه، ولذلك كان الصحابة يقولون " كان الرسول صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة في كل شيء كما يعلمنا السورة من القرآن".

ب - الأبعاد السياسية: وتتعلق بنوعية السلطة الحاكمة لمدينة القدس:

1 - فالقدس مدينة الشرائع يتعايش فيها كل الناس دون تفريق أو تمييز بينهم في الحقوق الأساسية على أن تكون خاضعة للسلطة السياسية الإسلامية لإدارة شؤونها والحكم فيها، وأي تغيير في نوعية هذه السلطة يؤدي إلى خلل حضاري يتعطل فيه دور القدس، ويصيب الخلل بالتالي محور مكة القدس فيتوقف عن الإشعاع الحضاري المطلوب منه. وفي فترات الخلل هذه وسيطرة غير المسلمين من صليبيين وصهاينة على مدينة القدس كانت حرمة الأماكن المقدسة تنتهك وحرية العبادة تصادر، وكرامة الإنسان وحقه في العدالة والمساواة تنتفي.

إن إعادة الأمور إلى نصابها يقتضي أن تعود القدس محررة من سيطرة الصهيونية لتحكم من جديد بالسلطة الإسلامية هي الضمانة الوحيدة لسير الحياة البشرية المتوازنة في مدينة القدس، الضامنة في الأساس حرية إقامة الشعائر الدينية للجميع، وحرية الوصول إلى الأماكن المقدسة لجميع معتنقي الشرائع.

2 - لقد كانت إمامته صلى الله عليه وسلم لجميع الرسل عليهم الصلاة والسلام في بيت المقدس إشارة خفية إلى أن الإسلام سيفتح ويحكم المدينة دون قتال فيها تماما كما دخل الإسلام مكة المكرمة فاتحا ومحررا إياها من الأوثان. لقد تم فتح القدس الأول بعد مرور ستة عشر عاما على حادثة الإسراء والمعراج، وذلك في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه. وخلال هذه السنوات خاض المسلمون معارك فاصلة مع الكفر والشرك وحرروا بيت الله الحرام ومكة المكرمة، ثم خاضوا معارك اليرموك وأجنادين على أرض فلسطين وبعده تم حصار مدينة القدس، والتي طلبت الصلح والأمان من المسلمين واشترطت تسليم المدينة لأمر المؤمنين نفسه، فوافق الفاروق رضي الله تعالى عنه، ويركب ناقته متوجها إلى بيت المقدس ويعطي أهلها عهده العمرية.

وتتكرر نفس الحادثة ويعيد التاريخ نفسه مع الفاتح الثاني لمدينة القدس السلطان صلاح الدين الأيوبي عام 583 هـ، وبعد احتلال صليبي لها دام أكثر من تسعين عاما، هذا بعد قسم صلاح الدين رحمه الله تعالى أن لا يدخلها إلا عنوة وقوة السلاح عندما وقف بجيشه على أبواب مدينة القدس يحاصرها، ولكن رحمه الله تعالى نزل على أصحاب الرأي والمشورة الذين أشاروا عليه بقبول عرض الصلح، فهو الأفضل والأصلح للمسلمين لما فيه من المحافظة على بنية الجيش المقاتل ومن حماية لأرواح المسلمين، فوافق صلاح الدين القائد المسلم الورع، ويكفر عن قسمه ويدخل القدس في السابع والعشرين من شهر رجب ذكرى الإسراء والمعراج.

إن أرض القدس التي تشهد منذ 1948 ميلادي الصدام الطبيعي بين منظومتين متناقضتين، منظومة الأمة بقيادة الإسلام العظيم، ومنظومة الغرب المتحرف دائما للسيطرة على مقدرات المسلمين عبر إبعاد الأمة عن دينها الحق، وعبر تمزيق وحدتها السياسية، وبهذه الخطة يستطيع أن يحقق أهدافه، وهذا ما فعله الغرب قديما بحملاته الصليبية، وهذا ما فعلته الصهيونية اليوم. وإذا كانت حركة التحرير الأولى التي قادها صلاح الدين رحمه الله تعالى، حيث رد الأمة إلى ربها وصالحها مع دينها ووحد بينها، في تحالف رشيد بين قيادة علم وسياسة، فقام الشيخ عز الدين بن عبد السلام وأبي الحسن الشاذلي ونور الدين وعماد الزنكي وصلاح الدين الأيوبي، فإن الأمة اليوم لا يصلح وضعها إلا بما صلح به أولها، وعليه فليس لها

من سبيل إلا سبيل صلاح الدين نفسه، وسبيل عمر بن الخطاب من قبله، وعليه، فلا بد من حركة إحياء إيمانية يقودها علماء ربانيون عاملون وسياسيون ربانيون. إن قضية فلسطين اليوم - بعد سنين الجذب والضياح والفشل والهزائم - ومنذ أربعة عشر شهرا بدأ يحملها أصحابها من خلال القيادة والانطلاق، قيادة المشايخ والعلماء، وانطلاقها من المساجد. وبذلك يلتقي السلاح مع الإيمان وتصهر فيه العقيدة في أتون المعركة وتنصهر فيه الأمة كلها المتواجدة في بقاع الدنيا، وتتحرر من كل حواجز الأرض واللغة والعنصر والعرق، وينخرط فيها وجوبا كل مسلمي الدنيا، تماما كما تبنتها الأمة كلها قديما قضيتهم المركزية، وكما قادتها قديما قيادتها منذ قديم عربا وغيرهم كما قادها نور الدين زكي وصلاح الدين الأيوبي المسلم الكردي.

v المعراج

وفي معراج الرسول صلى الله عليه وسلم أكثر من عبرة:

1 - الترقى:

أ - إن هذه الرحلة انتهت إلى الله تعالى، انتهت إلى غايتها الحقيقية لأنها كانت ثمرة سلوك وجهاد طويل انتهى بموت الحصون والأحبة "الزوج والعم"، وانتهت بالعزل والطرده والحماية بمشرك، وتوجت بصفاء النفس في أحلى دعاء وأعذب مناجاة. فهل في الدنيا أقدر من رسول الله صلى الله عليه وسلم تعبيراً عن العجز والضعف وتصويراً للفقر والاحتياج، واستجلاباً لرحمة الله واستمطاراً لسحاب كرمه؟ إنه ليس في الدنيا كلمات أشد منها تأثيراً وأدق منها دلالة على المعاني وأكثر منها قلة في المباني وأحسن وقعا في النفوس وجذبا للقلوب وسحرا للأذهان والعقول: " اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس ، أنت رب المستضعفين وأنت ربي لا اله إلا أنت، إني من تكلني؟ إلى قريب يتجهمني أم إلى عدو ملكته أمري، إن لم يكن بك سخط عليّ فلا أبالي غير أن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الكريم، الذي أضاءت له السموات والأرض وأشرفت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن يحلّ عليّ غضبك أو ينزل عليّ سخطك لك العتبي حتى ترضى ولا حول ولا قوة لنا إلا بك" أفلا يدل هذا الدعاء وحده على أن النبي صلى الله عليه وسلم حق؟! قال الشيخ الألباني في الضعيفة 2933: ضعيف: رواه الطبراني في "المعجم الكبير" 181/73/13، وعنه الضياء في "المختارة" 1/128/56 - 2، وابن عدي 2/284، وعنه ابن عساكر 2/178/14.هـ

ب - إن القلب لما يعمّر بالتوحيد يفجر أدعية غنية تثري علاقة العبد بربه عز وجل. إن في استقبال الأنبياء عليهم السلام للرسول صلى الله عليه وسلم في كل سماء تدلّ على قوة الأصرة التي تجمع بين الأنبياء الإخوة، وما التّحيات المتبادلة بين النبي الخاتم وإخوانه السابقين إلا دليل على وثوق هذه الأصرة، وإن ما يروّج من خلاف بين الأنبياء ما هو إلا كذب صنعه الكهان الموظفون والسياسيون المتاجرون بالأديان "لا تُفرّق بين أحدٍ من رُسُلِهِ" البقرة 275.

3 - إن في تجاوز الرسول صلى الله عليه وسلم السماوات الواحدة بعد الأخرى وتجاوز الأنبياء والرسول واحداً بعد الآخر معنىً روحياً، أي أن الرسول في تساميه الروحي، تجاوز آدم في سمائه الأولى، ثم عيسى وموسى ثم إبراهيم عليهم السلام في سمائه السابعة، بل إنه تجاوز في تساميه الروحي أفضل ملك مقرب وهو جبريل خليل رسول الله صلى الله عليه وسلم.

إنه صلى الله عليه وسلم تجاوز الكون كله إلى سدرة المنتهى، إنه بلغ ما لم يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل.

إنها لحظات لقاء الحبيب بالحبيب، إنها أفضل لحظات الوجود كله بلا منازع، لقاء الرسول بربه، إنها لحظات الحب والشكر والحمد والتّحيات:

- التّحيات لله والصلوات والطّيبات...

- السلام عليك أيها النبي ورحمة الله تعالى وبركاته...

- السلام علينا وعلى عباد الله الصّالحين، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

إنها لحظات اللقاء والقرب، لحظات الرسول الذي شرح صدر رسوله من غير سؤال: "ألم تشرح لك صدرك" الشرح 1، والحال أن موسى عليه السلام سأل ربه ذلك الأمر قائلاً: "رب أشرح لي صدري" طه 25، إنها لحظات لقاء من أقسم الله تعالى بعمره "لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون" الحجر 72.

إن هذا هو مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ربه سبحانه وتعالى، إنه مقام يزيدنا تقديراً وحباً واتباعاً، ثم هو في الأخير مقام المسلمين المجاهدين "كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله" آل عمران 110 "وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً" البقرة 143

ج - أن الرسول صلى الله عليه وسلم في هذه الرحلة ترقى مراحل ثلاث:

الأولى: بشرية في الأرض معهودة بالمدد.

الثانية: ملائكية السماء قبل سدرة المنتهى.

الثالثة: فوق الملائكية، وهي التي كانت بعد سدرة المنتهى.

وفي المرحلة الأولى كان الرسول صلى الله عليه وسلم بشراً، وجبريل يري محمداً الأشياء ولذلك قال تعالى "لئريه من آياتنا" الإسراء 1، وفي المرحلة الثانية لم يستفهم من جبريل، ولكنه يسمع فيهم، وهنا قال الله تعالى "لقد رأى من آيات ربه الكبرى" النجم، وفي المرحلة الثالثة ارتقى في سبحات النور في عالم فوق الملائكية: "إن اقتربت اخترفت وإن اقتربت احترقت".

إنه ترقى صاحب موسى في رحلة التعلم، ولكنه ترقى في الأرض وترقى في نسبة الفعل منه "فأردت أن أعيبها" الكهف 79 "فأردنا أن يبدلها ربهما خيراً منه زكاة وأقرب رحماً" الكهف 82 "فأراد ربك أن يبلغ أشده" الكهف 81

د - المجاهدون في سبيل الله:

تنتقل الرؤية من التوبة والفطرة مباشرة إلى الجهاد في سبيل الله، وهذا انتقال طبيعي، فليس بعد التوبة النصوح إلا الجهاد في سبيل الله تعالى، والذي يجب أن يعلم أن الجهاد أوسع وأعم من أن يقتصر على القتال فهو أنواع، كما تحدث عن ذلك ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه "زاد المعاد"، فقال بتصرف: "إنه أربعة أقسام وهي جهاد النفس و جهاد الشيطان و جهاد المنحرفين من الظلمة وأصحاب البدع والمنكرات في المجتمع الإسلامي و جهاد الكفار والمنافقين. ثم فصل في ذلك قائلاً بتصرف: "أولها جهاد النفس: وهو أيضا أربع مراتب:

1 أن يجاهدها على تعلم الهدى ودين الحق.

2 أن يجاهدها للعمل به بعد علمه.

3 أن يجاهدها للدعوة إلى الهدى وتعليمه لمن لا يعلمه وتربيته عليه. وإلا كان ممن يكتمون ما أنزل الله.

4 أن يجاهدها للصبر على مشاق الدعوة إلى الله تعالى، والصبر على أذى الخلق الناتج عن ممارسة

الدعوة، ويتحمل ذلك كله لله فإذا استكمل هذه الأربع صار من الربانيين فإن السلف مجمعون على أن

العالم لا يكون ربانياً حتى يعرف الحق ويعمل به ويعلمه.

ثانيها: جهاد الشيطان: وهو مرتبتان:

الأولى: جهاده على ما يلقي إلى الإنسان من الشبهات والشكوك القادحة في الإيمان حتى لا يصل المؤمن

إلى اليقين الذي تنتج عنه الاستقامة الكاملة على منهج الله عز وجل.

ثانيها: جهاد الشيطان لدفع ما يزينه للمؤمن من أنواع الأعمال المنحرفة ليفعله، ويكون هذا الجهاد

بالصبر على الاستقامة على منهج الله وعدم تركه إلى غيره. فالأولى بعدة اليقين، والثانية بعدة الصبر،

قال تعالى: "وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون" السجدة 24

ثالثها: جهاد الكفار والمنافقين لهدايتهم، وهو أربع مراتب: بالقلب واللسان والمال والنفس..

رابعها: جهاد أرباب الظلم والمنكرات والبدع لتقويمهم ووسائل ذلك ثلاث مراتب

باليد إذا قدر، واللسان إن عجز عن اليد، والقلب إن عجز عن اللسان.

إن من خلال ما تبين، أن الإسلام كله جهاد، وكل هذا الجهاد إسلام، وكل أنواع الجهاد هذه فرض عين

على المسلم يمارسها حتى يقوم المجتمع الإسلامي بكافة مؤسساته وعلاقاته وتنطبق عنه الدولة التي

تطبق حدود الله تعالى وقوانين الإسلام إذ بدون الدولة لا يمكن تطبيق منهج الله تعالى كاملاً. فالدولة أداة لتحقيق الإسلام في الواقع.

إن ترك هذا الفرض "الجهاد" يشيع الحيرة والقلق، نتيجة التناقل بين المناهج المختلفة وسيطرة المنحرفين على الأمة ووقوعها في عبودية البغاة الظلمة "إلا تنفروا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ". التوبة 39، إن الأمة إذا تركت الجهاد جاءها الهلاك الشامل، بل إنها تصير مهددة بالزوال، روى أبو داود "إذا تبايعتم بالعيثة وأخذتم أذنان البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم". العينة بكسر العين المهملة وسكون المثناة تحت ونون: وهو أن يبيع سلعة بثمن معلوم لأجل ثم يشتريها منه بأقل ليقبى الكثير في ذمته، سميت عينة لحصول العين أي النقد فيها. وفي رواية لأحمد "ليلزمتكم الله مذلة في أعناقكم ثم لا تنتزع منكم حتى ترجعوا إلى ما كنتم عليه وتوبوا إلى الله". ويكفي بشاعة عقوبة ترك الجهاد حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي رواه الترمذي عن حذيفة "والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم".

إن الجهاد بأوسع معانيه ما هو إلا ثمن لسلعة الله الغالية للخلص الأخيار من أعباء الله تعالى، لأنه الوسيلة الوحيدة الناقلة لهدي الله تعالى، ولا بد للمجاهدين أن يكون لهم ثمرات متعددة لأنهم جادوا بأعلى ما يملكون: أموالهم وأرواحهم وديارهم ولذاندها، ومن ثم وعدهم الحق تعالى بعظم الجزاء إلى درجة أن الأنبياء ليغبطونهم.

إن الإسلام العظيم خلاص، ولا بد للخلاص من طريق، وليس للمؤمن من طريق لتحقيق دينه إلا بالجهاد بمعانيه الشاملة، ولذلك ربط الله تعالى الجهاد بالإيمان، بحيث لا يكون إيمان صادق إلا والجهاد ركيزة أساسية فيه "إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ". الحجرات 15

إن المجتمع الإسلامي العظيم الذي يقوم على أسس فاضلة من قيم الحق والخير والأخوة والكرامة والعدل والمساواة، مجتمع يمكن أن يكون لقمة سائغة للطامعين والمغامرين، ولكن الجهاد هو الفريضة التي تمثل السياج الذي يحمي به الإسلام بنيانه ويربّي المسلمين على قيمته العظمى في حياتهم. فالأمة بين مهمتين عظيمتين: أمة دعوة وأمة جهاد موصول إلى يوم الدين، بل إنه من مات فيها ولم يغز أو لم ينو الغزو فقد مات ميتة جاهلية. "وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرْنَا مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ" التوبة 122.

إن الجهاد وهو يتضح هنا بصورة شاملة رائعة، ما هو إلا تذكير دائم للمسلمين أنهم الأعلون دائما ما بقي الجهاد حقيقة نابغة بالحياة في وجودهم، وليس بين الأمة المسلمة وبين النيل منها إلا "الوهن" الذي يؤذن بتداعي الأمم عليها كما تتداعي الأكلة على قصعتها.

هـ - الزكاة

وتأتي الزكاة بعد الصلاة في الترتيب.

إن الانتماء إلى الإسلام ليس ادعاء، إنه الفعل والكبح والجد، وإن هذا الدين لا يقبل التجزئة في التعامل معه، ولذلك حارب أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه مانعي الزكاة رغم معارضة الصحابة له أول الأمر، إذ قالوا: كيف تحارب من يشهد أن لا إله إلا الله؟ فقال: "والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة".

ومن ثم أجمع العلماء على أن مانع الزكاة يحارب حتى يؤديها وإلا قتل، ذلك أن منع تلك الفريضة العظيمة يؤدي بالضرورة إلى فصل الدين عن الدنيا أو بالتعبير الحديث فصل المادة عن الروح وبالتالي فصل الدين عن الدولة وعن المجتمع، حيث تجد من بين المسلمين من يستحق المال، والزكاة حقهم تحيي بها نفوسهم وتشبع بها بطونهم وتمسح دموعهم وتزيل آلامهم وتطهر نفوسهم وتسلم بها قلوبهم، وينال بها المزكي ثوابا وأجرا من الله عز وجل.

إن الزكاة من العبادات المتعدّي فضلها، فهي وإن كانت رابطة بين الإنسان وربّه إذ تجلب الرضوان والمثوبة والثماء والبركة والشكر من الإنسان لله تعالى من ناحية، فهي كذلك من ناحية أخرى رابطة بين

الإنسان وأفراد المجتمع الذي يعيش فيه حتى يتحقق التقارب الاجتماعي ويندثر الحقد وتقطع الضغينة ويقضى على الشح الهالك...

و - التثاقل عن الصلاة: إن التثاقل عن الصلاة ليست إلا عملية غياب تركيز طاقات المؤمن وكل إمكاناته بحيث يؤديها مهما كانت ظروفه، ومهما كانت شواغله ومهما كانت موانعه بقطع النظر عن موافقه الاجتماعية. ولكن الإنسان المقصر يبرر لنفسه ترك الصلاة جماعة أو تأخيرها عن وقتها بأسلوب يختاره، مثل ضيق الوقت وعدم القدرة والانشغال بالكسب، ومنه العمل الإسلامي، وكل شيء من هذا القبيل، وما هذه التبريرات الركيكة إلا أفكار بنات الوسواس الخناس الذي ينبتها في رأس المتخلف فيثقله الشيطان بالعقد الثلاث، ومن ثم لا غرابة أن يستحق ذلك الجزاء البشع وهو رضخ ذلك الرأس البانس، محل تلك الأفكار الخبيثة، ويأليته يرضخ مرة أو مرتين وينتهي فيموت، ولكن المشهد أبشع من ذلك كله. ثم إن هذه الأفكار يرسلها اللسان ويعلنها بل ربما يبرر لها، فهو وسيلة دفاع ذلك الفكر البانس، لذلك كان لزاما بحكم مشاركته في تلك الجريمة البشعة أن يقرض أيضا. **سنترض إليه في آفات اللسان** قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى: "فخلف من بعدهم خلف...." ليس معنى أضاعوها بالكلية، ولكن أخروها عن أوقاتها" **ابن كثير تفسير القرآن العظيم 138/1**

وفي صحيح البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من فاتته صلاة العصر حبط عمله". إن الحرص على الصلاة والقيام بها في أوقاتها والمحافظة والاستدامة عليها من صفات أصحاب الفردوس، ولذلك لما طعن أمير المؤمنين عمر الفاروق رضي الله عنه قيل له: لما حضر وقت الصلاة: الصلاة يا أمير المؤمنين! قال: نعم، لا حظ لأحد في الإسلام أضاع الصلاة"، وصلى رضي الله عنه وجرحه ينغب دما.

إنه لا حظ لأحد في الإسلام وقد ضيع صلاته ولم يؤدها في أوقاتها بكامل شروطها، والواجب على كل أب مسؤول أن يحرص عليها كل الحرص وأن تكون عقبه في ذريته "رب اجعلني مقام الصلاة ومن ذريتي"، إذ كيف تورث أبناءنا الإسلام بدون صلاة؟ "إن التواصي بالصلاة لحسنة نقترفها يزيد الله لنا فيها حسنا، ولا بد لنا أن نجعلها كلمة باقية في عقبنا في أجيال الناشئة الجدد، فإن لم نفعل، فإن عقد الدعوة سينفطر - لا سمح الله - انفرطا ماله من فواق" **محمد أحمد الراشد: الرقائق ص 26.**

ز - الثبات على العقيدة: لقد شَم رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسراه رائحة طيبة، فسأل عنها جبريل، فأخبره أنها رائحة ماشطة بنت فرعون وأولادها: بينما تمشط بنت فرعون سقط المشط من يدها، فقالت: بسم الله! وفي رواية: بسم الله تعس فرعون! فقالت بنت فرعون: أهو أبي؟ قالت: ربّي وربّ أبيك! قالت: أولك ربّ غير أبي؟ قالت: نعم ربّي ربك وربّ أبيك الله! فدعاها فقال: أولك ربّ غيري؟ قالت: نعم ربّي وربك الله! وكان للمرأة زوج وثلاث أولاد، أصغرهم رضيع، فأرسل إليهم وأمر المرأة وزوجها أن يرجعا عن دينهم، فأبيا، فقال: إني قاتلكما! قالت: إحسانا منك إلينا، إن قتلنا أن تجعلنا في مكان واحد فندفننا فيه جميعا فقال: ذلك لك بما لك علينا من حقّ. فأمر ببقرة من نحاس فأحميت بزيت ثم أمر بهم فألقوا فيها واحدا واحدا، حتى بلغ الرضيع، وكانت أمه تحمله، ولشفقتها عليه تلکات وكادت ترجع لموافقة فرعون، فقال: يا أمه قعي ولا تقاعسي، فأثك على الحق" **رواه**

البيهقي وقال: وتكلم أربعة في المهدي وهم صغار: هذا وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى بن مريم عليه السلام" **ابن كثير تفسير القرآن العظيم 15/3** إن الثبات على العهد حتى الشهادة شرطه قوة الايمان وجزاؤه الجنة والخلود، وإن الرأحة الذكية للشهيد لتبعث حتى من الأماكن التي استشهدوا فيها.

ح - الدنيا العجوز: وفي رؤية الرسول صلى الله عليه وسلم الدنيا على ذلك الشكل دليل على حقارة الدنيا ونداعتها. لقد عاب القرآن الكريم الدنيا وزينتها في أكثر من آية وضرب لها الكثير من الأمثال "زِين لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ . قُلْ أُوْنِبُّكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ " **آل عمران 14 - 15** " اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال

وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُرُورِ " الحديد 20.

وفي الأحاديث: " لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافرا شربة ماء" رواه الترمذي وصححه، وفي الصحيحين " ما الدنيا في الآخرة إلا كمثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم فلينظر بم ترجع؟" وقال " الدنيا سجن المؤمن وجن الكافر" رواه مسلم. ومما جاء من آثار السلف، فقد كان بعضهم يقول لأصحابه " انطلقوا حتى أريكم الدنيا، فيذهب بهم إلى مزبلة، فيقول لهم: " انظروا إلى

ثمارهم ودجاجهم وعسلهم وسمنهم" المقدسي مختصر منهاج القاصدين ص 71 بتصرف.

وهكذا من أدرك حقيقة الدنيا، لم يركن إليها، صغرت وهي كبيرة وضافت وهي واسعة. وهذه الرؤية هي أكبر شرط يجب أن يتحقق في ذات المسلم الرسالي، عندها فقط، تهون الدنيا وتصير الآخرة أكبر هممه، فيجود بكل ما يملك في سبيل الله، ولذلك لم يخف الرسول صلى الله عليه وسلم على المسلمين، أن الدنيا ستفتح لهم فيتنافسوها فتهلكهم نسأل الله العافية والسلامة.

ط - آثام اللسان: لقد نالت آثام اللسان في رحلة المعراج قدرا موفورا من الاهتمام: تشبيها وتمثيلا وتشبيعا.

إن لسان آفات كثيرة ومتنوعة" ولها في القلب حلاوة ولها بواعث من الطبع لأن النفس ميالة لأشياء كثيرة ولا نجاة من خطرها إلا بالصمت الذي يجمع الهمة ويفرغ الفكر ويدل على الضبط " من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة"، قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: "ما شيء أحوج إلى طول سجن من لساني"، وقال أبو الدرداء رضي الله تعالى عنه: "أنصف أذنك من فيك، فإثما جعلت لك أذنان وفم واحد لتسمع أكثر مما تتكلم به"، ولكي لا نطيل عليك - أخي القارئ - فنوجز لك آفات اللسان في:

- 1 - خطباء الفتنة: وهم المغالطون والمخادعون لشعوبهم.
- 2 - الكلمة التي لا يلقى لها بالا فتتهوي بصاحبها إلى جهنم أربعين عاما.
- 3 - الكلام فيما لا يعني.
- 4 - إفشاء السرّ والكذب وإخلاف الوعد واليمين الكاذبة.
- 5 - الخوض في الباطل.
- 6 - الفجور في الخصومة.
- 7 - التكلف في الكلام.
- 8 - الفحش والبذاءة والسب.
- 9 - المزاح الكذب.
- 10 - الاستهزاء والسخرية، ويقصد بالسخرية: الاحتقار والاستهانة والتنبية على العيوب والنقائص على وجه يضحك منه.
- 11 - الغيبة، ولعل أهم الأسباب الباعثة عليه إرادة رفع نفسه بتنقيص غيره، ومنه الحدّ من ثناء على شخص وحبهم له وإكرامهم فيقدح فيه ليقصد زوال ذلك.
- 12 - التميمية.
- 13 - كلام ذي اللسانين.
- 14 - المدح.
- 15 - الخطأ في فحوى الكلام، كقول أحد من الناس لآخر: ما شاء الله وشنت، والصحيح أن يقول: "ما شاء الله وحده"، أو كقول قارئ القرآن قرأت "شوي" من القرآن، والصحيح أن يقول: "قرأت ما تيسر من القرآن".

قال النخعي: "إذا قال الرجل للرجل، يا حمار! يا خنزير! قيل له يوم القيامة: رأيتني

خلفته حمارا أو رأيتني خلفته خنزيرا" المقدسي مختصر منهاج القاصدين ص 171 بتصرف.

إن المتأمل فيما ورد في آفات اللسان يعلم علم اليقين، أنه إذا أطلق لسانه لم يسلم، وعندها يعرف سرّ قول الرسول صلى الله عليه وسلم: " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت".

إننا نظّل نوهم أنفسنا أننا نحسن صنعا بإخلاقنا لأخلاقنا الإسلامية، والحال أن أعمالنا مشوّهة بالآفات التي ذكرنا: مرء وجدال وكذب وتبرير ورياء وحبّ ظهور، وكم تحوّل حوارنا إلى مرء وجدال وكذب، وكم تحوّلت حوارات المسلمين وتشاوراتهم إلى تناجيات واتّهامات، وكم استعمل أسلوب الاحتقار والفكاهة، إثارة للضحك وجلبا للانتباه وتنقيصا للغير وتكثيرا للنفس. قال صلى الله عليه وسلم: "ويل للذي يحدث بالحديث ليضحك به القوم ويل له ويل له". **الترمذي وأبو داود**

لقد انتشر بين الناس الكذب حتّى ما عدت تعرف ما الصدق وما الكذب في قول بعض الناس، وهم لا يجدون حرجا في ذلك، لقد صار البعض يكذب ليعتذر وليبرر آثامه وتقصيره، يكذب في إشاعة أخبار زائفة، يكذب للردّ على كلّ سؤال يرد إليه وهو لا يملك علما ولا ورعا ليظهر أنّه عالم
إنّه لا بدّ من القول السديد في كلّ الأحوال، ولا بدّ من الصمت إلا أن يكون الكلام واجبا كأمر بمعروف أو نهي عن منكر أو تعليم واجب، لأنّ الصمت هنا يحرم. إنّ التريّد في الكلام وعدم تقصّد الحقّ فيه يعدّان من أعظم أسباب حجب القلب عن الخير، ففي الحديث "لولا تمرّغ قلوبكم وتزيّدكم في الحديث لسمعتم ما أسمع".

ي - آثام الجوارح:

ومما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم في المعراج حالة الزناة وآكلي الأمانات والربّاء وأموال اليتامى ظلما، وكذلك حالة الكفار والمشركين. وسنخصّص بالحديث عن الأمانات بالذكر، لأننا أصحاب أمانات مهمة.

إنّ الأمانة أقسام، أعلاها: الإسلام، قال تعالى: "إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا". **الأحزاب 72**، "وأدناه ردّ مفتاح إلى أهله" إنّ الله يأمركم أن تؤدّوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إنّ الله نعيمًا يعظّم به إنّ الله كان سميعًا بصيرًا" **النساء 58**. عن ابن عباس في قوله عزّ وجلّ "إنّ الله يأمركم أن تؤدّوا الأمانات إلى أهلها" قال: لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة دعا عثمان بن طلحة فلما أتاه قال "أرني المفتاح" فأتاه به فلما بسط يده إليه قام إليه العباس قال: يا رسول الله بأبي أنت وأمي اجمعه لي مع السقاية فكف عثمان يده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "أرني المفتاح يا عثمان" فبسط يده يعطيه فقال العباس مثل كلمته الأولى فكف عثمان يده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "يا عثمان إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر فهاتيه" فقال هاك أمانة الله قال: فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وفتح باب الكعبة فوجد في الكعبة تمثال إبراهيم عليه الصلاة والسلام معه القداح يستقسم بها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "ما للمشركين قاتلهم الله وما شأن إبراهيم وشأن القداح" ثم دعا بحفنة فيها ماء فأخذ ماء فغمسه فيه ثم غمس به تلك التماثيل وأخرج مقام إبراهيم وكان في الكعبة فألّزقه في حائط الكعبة ثم قال "يا أيّها الناس هذه القبلة" قال: ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فطاف بالبيت شوطا أو شوطين ثم نزل عليه جبريل فيما ذكر لنا برد المفتاح ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إنّ الله يأمركم أن تؤدّوا الأمانات إلى أهلها" حتّى فرغ من الآية **انظر ابن كير في تفسيره للآية**
ويكفينا الحديث عن الأمانات الاستماع إلى نبيّنا ومعلّمنا ومرشدنا الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وهو يعرض لنا حقيقة الأمانة ومآل المتكالبين عليها:

1 "يا عبد الرحمن بن سمرة، لا تسأل الإمارة، فإنّك إن أوتيتها عن مسألة وكلت إليها، وإن أوتيتها عن غير مسألة أعنتّ عليها، وإذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها، فأنّت الذي هو خير، وكفّر عن يمينك" **متفق عليه**.

2 "من ولي شيئا من أمور المسلمين، لم ينظر الله في حاجته حتّى ينظر في حاجته". **الطبراني وابن عساکر عن أبي محجن**.

3 "كلّمك راع، وكلّمك مسؤول عن رعيّته والإمام راعي ومسؤول عن رعيّته، والرّجل راع في أهله ومسؤول عن رعيّته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيّتها، والخادم راع في مال سيّده ومسؤول عن رعيّته، وكلّمك راع ومسؤول عن رعيّته". **متفق عليه. 654/2**

4 " ما من عبدٍ يسترعيه الله رعيته ، يموت يوم يموت وهو غاشٌّ لرعيته، إلا حرم الله عليه الجنة " متفق عليه وفي رواية " فلم يحطها بنصحها لم يجد رائحة الجنة ". وفي رواية لمسلم " ما من أمير يلي أمور المسلمين ثم لا يجهد لهم، وينصح لهم، إلا لم يدخل معهم الجنة ".

5 أخرج أحمد والحاكم وصححه عن يزيد بن أبي سفيان أن أبا بكر قال له: يا يزيد إن لك قرابة فهل عسيت أن تؤثرهم بالإمارة وذلك أكثر ما أخاف عليك بعد ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من ولي من أمر المسلمين شيئاً فأمر أحداً محاباة فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً حتى يدخله جهنم". وللحاكم وصححه عن ابن عباس مرفوعاً: "من استعمل رجلاً على عصابة وفيهم من هو أَرْضَى اللهُ منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين".

6 أخرج الحاكم وصححه " ما من أحد يكون على شيء من أمور هذه الأمة فلم يعدل فيهم إلا كبه الله في النار ".

7 ولهما عن معاذ رضي الله عنه مرفوعاً: " اتق دعوة المظلوم فإِنَّه ليس بينها وبين الله حجاب ولمسلم عن عدي بن عميرة مرفوعاً: " من استعملناه منكم على عمل فكنتم منه خيطاً فما فوقه كان غلولا يأتي به يوم القيامة ".

8 ولأحمد عن ابن هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: " ويل للأمرء، ويل للعرفاء، ويل للأمناء لِيَتَمَنِّيَنَّ أقوام يوم القيامة أن ذوانبهم كانت معلقة بالنِّرْيَا يذذبون بين السماء والأرض ولم يكونوا عملوا على شيء ".

9 عن أبي ذر رضي الله عنه مرفوعاً: " يا أبا ذر إني أراك ضعيفاً وإني أحب لك ما أحب لنفسي لا تأمرن على اثنين ولا تولين مال يتيم " **رواه مسلم**

10 ولأبي داود عن بريدة رضي الله عنه مرفوعاً: " القضاة ثلاثة: واحد في الجنة واثنان في النار، فأما الذي في الجنة فرجل عرف الحق ففضى به، ورجل عرف الحق فجار في الحكم فهو في النار، ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار ".

11 وعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: " من أفتى فتياً بغير علم كان إثم ذلك على الذي أفتاه ".

12 " إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة " قال : وكيف إضاعتها؟ قال: إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة " **رواه البخاري**.

13 " لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له " . **حديث صحيح ، وإسناده جيد رواه الإمام أحمد والبيهقي**

14 " لتؤدّن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء " . **رواه مسلم**
والأمانات تبدأ من الأمانة الكبرى.. الأمانة التي ناط الله بها فطرة الإنسان والتي أبت السماوات والأرض والجبال أن يشفقن منها وحملها الإنسان. ومن هذه الأمانة الكبرى تنبثق سائر الأمانات التي يأمر الله تعالى بها أن تؤدى، والتي منها:

- أمانة الشهادة لهذا الدين، الشهادة له في النفس أولاً بمجاهدتها حتى تكون ترجمانا له في الشّعور والسلوك والواقع.

- الشهادة له بدعوة الناس إليه، وبيان فضائله ومزاياه، بعد تمثّل ذلك في ذات الدّاعية، فما يكفي أن يؤدّي المؤمن الشهادة للإيمان في النفس إذا لم يدع الناس إليها، وما كان للمؤمن الشّاهد أن لا يبلغ الأمانة ويبلغ الرّسالة.

- الشّهادة لهذا الدّين بالسّعي لإقراره في الأرض منهاجاً للجماعة المؤمنة وللبشريّة جميعاً، سعياً للفرد بكلّ ما يمتلك من وسائل، وبكلّ ما تمتلك هذه الأمّة من جهد وبذل وتضحية، ذلك أن تحكيم هذا المنهج الرّبّاني في حياة البشر هو أضخم أمانة وأكبرها إذ أنّه من متطلبات التّوحيد ومتعلقاته، فلا يعفى منها عقانديّ أبداً سواء كان فرداً أو جماعة، وعلى هذا الأساس كان "الجهاد ماضياً إلى يوم القيامة".

- أمانة التّعامل مع الناس وردّ أماناتهم إليهم من مثل أمانة المعاملات والودائع الماديّة.

- أمانة النّصيحة للرّاعي والرّعيّة.

- أمانة القيام على الأطفال النّاشئة.

- أمانة المحافظة على حرّمات الجماعة وأموالها وثغراتها....

وسائر ما يجلوه المنهج الرّبّاني من الواجبات والتكاليف في كلّ مجالي الحياة على وجه الإجمال " **سيد قطب**

باختصار في ظلال القرآن 688/2-689

فالأمانات " تعم جميع الأمانات الواجبة على الإنسان من حقوق الله عزّ وجلّ على عباده من الصلّاة والزكاة والصيام والكفارات والنذور وغير ذلك ممّا هو مؤتمن عليه، لا يطلع عليه العباد، ومن حقوق العباد بعضهم على بعض كالودائع وغير ذلك ممّا يأتونون به من غير اطلاع بيّنة على ذلك".

هـ - فرضية الصلّاة: وانتهت الرحلة ب" الهدية"
وفي فرضية الصلّاة في المعراج أكثر من معنى:

1 "إنّها جمعت ميراث كلّ الرّسل إذ كانت في بعض الأزمنة غدوة وعشية ركعتين في أوّل النهار وركعتين في آخر النهار بشكل خاصّ في القيام وفي الرّكوع وفي السجود. ولم يأخذ رسول من الرّسل العدد الذي فرض على أمة محمد صلى الله عليه وسلّم بذلك التوزيع الزمني خمسة أوقات في اليوم والليّلة، ولذلك استكثر سيدنا موسى عليه السلام ذلك ولم توجد صلاة عندهم اسمها صلاة العشاء". الشّعرابي الاسراء والمعراج

ص 93

2 إنّ الصلّاة هي الشّحنة التي تعبّى المؤمن ليقبل على كلّ أوامر ربّه بجدّ وباجتهاد. لذلك كانت الصلّاة بالنسبة للفرضية تختلف عن كلّ الأحكام بأن فرضت من الله مباشرة، وكأنّ الله تعالى لم يستدع الرّسول صلى الله عليه وسلّم إلا لهذا الأمر البالغ الأهمية " الصلّاة". الشّعرابي الاسراء والمعراج ص 94

3 "إنّ الإسراء والمعراج حادثة تكريم للرّسول عليه الصلّاة والسلام لقربه من حضرة ربّه، ومحمد صلى الله عليه وسلّم مبعوث رحمة للعالمين جميعا، ولما كان حرصه على أمته شديدا لم يشأ الله تعالى في مقام قربه منه إلا أن يرده بما يقرب المؤمنين برسول الله، فكانت الصلّاة " هدية القرب للقرب".

4 إنّ الصلّاة هي أظهر مظاهر الخضوع والقرب من الله. القرب الذي اقتربه رسول الله صلى الله عليه وسلّم من ربّه، فكانّ الله سبحانه وتعالى حييّ محمدا صلى الله عليه وسلّم حين قربه منه في الملأ الأعلى بأن حملة هدية إلى المؤمنين برسول الله لتكون لهم حظا في القرب من الله كما كان لرسوله حظه في

القرب منه". الشّعرابي الاسراء والمعراج ص 95

5 إنّ الصلّاة هي الفرض الوحيد الذي لا ينفك عن المسلم أبدا بعد الشّهادة، فالزكاة تسقط عن الفقير، وقد يسقط الصّوم عن المريض والمسافر، ويسقط الحجّ لعدم توفّر شرط الاستطاعة إلا أنّ الصلّاة لا تنفك عن المسلم أبدا حتّى وهو في الحرب والقتال.

6 إنّ في الصلّاة كلّ أركان الإسلام:

- إذ فيها الزكاة لأنّ المال في عرف الإسلام فرع الوقت، ولأنّ العمل يحتاج إلى الوقت، والصلّاة تأخذ من الوقت دون المال فكانّ المصلي أخذ من الوقت الأساسي، ففيها زكاة أهمّ من المال.

- وفي الصلّاة صوم إذ فيها إمساك عن شهوتي البطن والفرج، بل عن الحركة والكلام وعن كلّ شيء. إذن ففيها لون من الصيام متعلّقاته في المنع أوسع من متعلّقات الصيام.

- وفيها أيضا حجّ البيت من استطاع إليه سبيلا، لأنك تستحضر وأنت تصلي بيت الله فتتّجه إليه وتتحريّ

إليه" الشّعرابي الاسراء والمعراج ص 96... 99

7 - إنّنا نحن المسلمين، أصحاب حضارة خاصّة موصولة بالسّماء وأنّ سرّ بقاءنا وسرّ فوزنا ونجاتنا منوطان بهذه الصلّة الدائمة بالله، فنحن نسير في مناكب الأرض مهتدين بهديها مستنيرين بنورها ملتزمين بحدودها. ولقد تأكّدت هذه الصلّة بيننا وبين ربنا ليلة المعراج بفرض " الصلّاة" وهي أبعد أبعادها طهر في النفوس وسمو في الأرواح وعفة في السلوك " إنّ الصلّاة تنهى عن الفحشاء والمنكر". والمسلمون بهذه الصلّة الفريدة متميّزون عن سائر الأمم بأنهم أمة وسطية متوازنة لا ماديّة مطلقة ولا رويّة مغلقة، وبأنهم أمة منتصرة لظهارة أعضائها وقلة ذنوبهم.

8 - "إنّ محمدا صلى الله عليه وسلّم وصل إلى أفق لم يعد فيه مكان لجبريل وارتقى إلى مستوى من النور، لم يكن لجبريل عليه السلام فيه مجال، فكان محمد صلى الله عليه وسلّم في الحضرة الإلهية دون

واسطة" عبد الحليم محمود الاسراء والمعراج ص 6

9 - إنّ في فرضها في المعراج دعوة للمسلمين أن يعرجوا بأرواحهم وقلوبهم كلّ يوم خمس مرّات يحققون به الترفع عن أهوائهم وشبهاتهم ويشهدون به من عظمة الله وقدرته ووحدانيّته ما يدفعهم إلى السيادة على الأرض، لا عن طريق الاستعباد والقهر والغلبة، بل عن طريق السموّ والطهر والتسامي عبر الصلّاة.

10 - وفي تخفيف الصلاة من خمسين إلى خمس، وجعل أجرهن خمسينا، دليل واضح على رحمة الله تعالى الواسعة بعباده المسلمين، وأن جزاءه فاق أعمال عباده. وأن رحمته تعالى وسعت كل شيء، حتى طمع فيها إبليس، كما ذكر القرطبي رحمه الله تعالى في تفسيره الجامع 296/7، فقال: قال بعض المفسرين: طمع في هذه الآية كل شيء حتى إبليس، فقال في قوله تعالى: "وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُوبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ" 156 الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُقْلِحُونَ" الأعراف 157. فروى عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قرأ: "وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُوبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ" قال: جعلها الله لهذه الأمة، فلما نزلت: "وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ" قال إبليس: أنا من الشيء. فنزعها الله من إبليس، قال: "فَسَأَكْتُوبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ" فقال اليهود: نحن نتقى ونؤتي الزكاة، ونؤمن بآيات ربنا فنزعها الله من اليهود، فقال: "الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ" الآيات كلها، قال: فنزعها الله من إبليس ومن اليهود وجعلها لهذه الأمة".

VI الأحداث في مكة

أ - الارتداد: إن لتاريخ كل دعوة هزات عنيفة ومنعرجات خطيرة تأتي امتحانا لقدرة الدعاة على التواصل والصمود فهي أحداث تمحيص وتثبيت وتصحيح، ولذلك جاءت الرحلة امتحانا لقدرات الصحابة على تصور المدى الذي يناضلون مع رسولهم صلى الله عليه وسلم من أجل إخراج الإنسان إليه، وهو مدى رحب يتجاوز أبعاد الملموس والمسموع والمنظور، وينأى عن الأحجام المباشرة للأشياء، ويمتد بعيدا صوب الأفاق التي بإيمان الإنسان بها وحركته صوبها يغدو إنسانا وإلا فهو كالأنعام، بل هو أضل.

ب - إن قلة من ضعاف الإيمان في كل دعوة يورجهم التردد ويرهقهم طغيان الكفر وقوته وأساليبه وطرقه الوحشية لملاحقة الدعاة ومطاردتهم حتى القتل يجعلهم ينفلتون إلى الاستسلام والركوع والهزيمة، ولربما ينفلتون إلى التسيب والتميع والارتداد، خلاصا من الامتحان والاضطهاد الذين يزدادان قبحا بازدياد تنامي الجماعة وقربها إلى تحقيق أهداف الإسلام العظيم.

إن المرتدين أو - المستعدين للردة - وجدوا في حادثة الإسراء سببا للانفلات من الجماعة، خلاصا من الامتحان والاضطهاد المسلط عليهم، والذي سيزداد على أتباع الرسول صلى الله عليه وسلم بكل تأكيد بعد هذه الحادثة. ولكن سؤالا يطرح نفسه بعد الانفلات؟ يجيب الإمام أحمد رحمه الله تعالى "أسري بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى بيت المقدس ثم جاء من ليلته فحدثهم بمسيره إلى بيت المقدس وبعيرهم، فقال ناس: نحن نصدق محمدا بما يقول، فارتدوا كقارا، فضرب الله أعناقهم مع أبي جهل - يعني يوم بدر -"

المسند حديث رقم 4546

ج - حرب الأعداء: إن في اتصال أبي جهل بأبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه إثر حادثة الإسراء والمعراج، لدليل واضح على أساليب الكفر في التحرك ضد الدعوة، حيث يعمد المعادون إلى أقرب الناس من الداعية يشكونه، ولا يخفى الخطر الذي يلحق الدعوة والداعية، لو شك أقرب الناس منه، ويكون الأمر أكثر هولا إذا كان متعلقا بالقيادة.

وإن في فرح أبي جهل بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم عن تلك الرحلة، لدليل على تحمس الأعداء في متابعة الداعية والوقوف على "دليل تجاوز" حسب ما يزعمون أو على خطأ سلوك أو شبهة موقف، فيشهرون به، محاولة منهم لإجهاض الدعوة، وكم من داعية انتهى أمره ومن دعوة انتهت لخطأ سلوك وانحراف قدوة ولموقف ما كان لداعية أن يفقه.

د - إن في موقف أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه، حينما قال "إني لأصدقك" وذلك قبل أن يسمع من النبي صلى الله عليه وسلم شيئا لدليل على الموقف المبدئي الثابت الذي يجب أن يكون عليه كل جندي في جماعة جادة مع قائده أو أخيه عموما لإقرار الإسلام ببراعة كل رجل حتى تثبت إدانته، وبأن الأصل في الأشياء البراءة.

وليحذر العاملون للإسلام من مخططات الأعداء في ترويح الإشاعات المغرضة الكاذبة، وهو فنّ معروف في عالم السياسة، فالمطلوب أن نحذر الإشاعة وأن نحصن أنفسنا بأداب الإسلام والآ وقعنا في الظلم المانع من تحقيق الخير والعدل، وتحصل الكوارث في الجماعة ويحل الارتباك ويتخلخل الصّف، والله لا ينصر صفا معوجاً" يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسقٌ بنبأٍ فتبينوا أن تُصيبوا قومًا بجهالةٍ فُتُصِّحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ". **الحجرات 6**، وكم سمعنا من إشاعات مغرضة ضدّ داعية أو جماعة يسمع لها عقول ضعيفة ونفوس خربة فتحدث الفتنة، فيرتاب الدراويش في الصادق ويشكّون في الموثق فيخسرن دينهم وديناهم" **يَبْغُونَكُمْ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ** " **التوبة 47**.

هـ - إن في موقف أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه، ما يدلّ على نجاح الدّعوة الإسلاميّة إذا حافظت الجماعة على أجيالها الأولى وواصلوا مشوار العمل جميعاً، وأتمّ القياديون المؤسسون طريق الدّعوة والجهاد الطويل والشاقّ مهما كلف من جهود وتضحيات...

وكم تصاب الحركات من ضعف ووهن وتهتزّ وتفقد إشعاعها وتتفرّق الجماهير من حولها لما تتآكل القيادة وتخرج تناقضاتها إلى الشّارع، عندها بشرّ تلك الحركة ببدائية أفولها وانذارها. ولكم خذل ذلك الموقف العظيم لأبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه، مخططات الأعداء، فضلاً عن ترشيد بعض المتوقفين، ولا تسأل ما أحدثه ذلك الموقف من أثر عظيم في نفس الرّسول صلى الله عليه وسلم - الذي يستحقّ بما منازع تلك الصّفّة.

إنّه موقف الصّديقين ومنهجهم نحو قيادتهم، وإنّه موقف كلّ جنديّ صادق صديق في دعوته وقيادته وجماعته.

الخاتمة

إنّ الدّاعية في حياته - حياة العقيدة والجهاد - يحتاج إلى:

أ - رحلات إيمان يعبّئ قلبه ويحشوه يقينا، ويفرغ منه اللّهُو واللّعب والبطالة، لأنّ المسلم العارف لا يصلح إيمانه معرفة ذهنيّة، بل لابدّ له من فيوضات ربانيّة تملأ فؤاده ثقة في ربّه وفي نصره وعزّة دينه، وتحقير كلّ أعدائه وتقزيمهم مهما علوا وقووا، وإنّ رؤية طرف من آيات اللّهُ الكبرى في ملكوت السّموات والأرض له أثره الحاسم في توهين كيد الكافرين وتصغير جموعهم ومعرفة عقابهم، ولذلك يتيح الله تعالى لرسله فرص الإطلاع على المظاهر الكبرى لقدرته حتى يملأ قلوبهم ثقة فيه واستنادا إليه، إذ يواجهون قوى الكفّار المتألّبة، ويهاجمون سلطاتهم القائم، فقبل أن يرسل الله تعالى موسى عليه السّلام شاء ربّه أن يريه عجائب قدرته، فأمره أن يلقي عصاه، فإذا هي ثعبان مبيّن، وإذا بيده تخرج من جيبه بيضاء من غير سوء، وكذلك فعل الله تعالى مع إلياس عليه السّلام إذ أراه عجائب البحر. ولذلك ندرك سرّ إصرار الرّسول على حتّّه لزيارة الأماكن المقدّسة، لما تحدّثه في المسلم من فعل إيمانيّ هائل" إنّ الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، وهو يارز بين المسجدين كما تارز الحيّة إلى جحرها".

صحيح مسلم: كتاب الإيمان 146

"إنّ الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تارز الحيّة إلى جحرها". صحيح البخاري: كتاب الحج، باب: الإيمان يارز إلى المدينة

1876، ومسلم: كتاب الإيمان 147

"ليعودنّ كلّ إيمان إلى المدينة، حتّى يكون كلّ إيمان بالمدينة". مستدرک الحاكم 8400، ودلائل النبوة 6/330-331، وقال الحاكم: "صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه بهذه السّياقة"، وصححه الشيخ صالح الرّفاعي في فضائل المدينة ص 196-197

ب - خلوة يربّي بها نفسه، فيجول بفكره في ملكوت السّموات والأرض ويحاول أن يحصي نعم الله تعالى عليه - ولا يقدر أن يحصيها أبداً - وأهمّها نعمة الإسلام ونعمة التّوفيق للعمل به، ونعمة الدّعوة إليه، ويذكر فيها ربّه وحده " ... ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه من الدّمع".

إنّ هذه الخلوة وقفة ضروريّة وطبيعيّة ولازمة لكلّ داعية موفق، حيث يجد فيها فرصة للتأمّل ولتقويم والتّصحیح والتّجدّد والإنتاج الجديد، ثمّ هي تذكره بالخلوة الثّامة والعزلة الشّاملة في قبره الموحش المظلم، حيث لا أنيس ولا عريس ولا سلطة ولا ثروة. إنّ الدّاعية النّاجح الموفق كثير العلائق بالنّاس، ومن ثمّ فهو يصرف جزءاً من وقته، وإذا كان ذلك كذلك، فقد يتعذّر عليه تكميل نفسه علماً وعملاً، وعليه، فلا بدّ أن ينظم حياته: جزء للعلم وجزء للعبادة المحضّة، وجزء للدّعوة، وجزء للعلاقات وجزء للأهل والولد...

ولعلّ الإسراء والمعراج هي من نوع رحلة خلوة الرسول بالله تعالى وعزلة عن الدنيا كلها، ولذلك كانت تلك الرحلة العجيبة في وسط طريق الدعوة والجهاد، إعلانا عن مرحلة جديدة ستحيها الجماعة الأولى هي مرحلة الهجرة وتجسيد العقيدة بتأسيس دولة التوحيد.

ج - الثقة في الحق: إنّ الداعية لا بد أن يجهر بالحق، لا يخشى وقعه في نفوس الناس ولا يتملق به القوم ولا يتحسس مواقع الرضى والاستحسان إذا تعارضت مع كلمة الحق تقال، وإنه لا يصدع بالحق إلا من اكتملت ثقته بالحق وفاض إيمانا به ولا تكتمل ثقته ويفيض إيمانه حتى يبيع نفسه وما يملك لله تعالى: " إنّ الله اشترى " الآية

إنّ رحلات الإيمان ووفقات العزلة الجزئية يحققن في نفس الداعية الثقة المطلقة في دعوته طالما كان متبعا للمنهج النبوي كاملا، وإذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أكرمه ربه بهذه الرحلة المباركة لتحقيق تلك الأهداف وأكثر منها، فلنا نحن أتباع النبيّ وسائل نحقق بها تلك الأهداف من مثل رحلات طلب العلم الشريف والتخصّص فيه، وعيادة المرضى وزيارة المقابر وتعميل الموتى وكفنههم ودفنهم ومشاهدة أفلام الجهاد الإسلامي في فلسطين وأفغانستان المسلمتين.

د - التمسك بتبليغ الدعوة وتبليغ كلمة الإسلام صافية نافية لكلّ الناس، لأنّ مواجهة الناس بالبلاغ والتّحديات اليهم عن واجباتهم الدينية والقيام بها أمام الناس، فالصلاة إذا حان وقتها لا بد من أدائها في أيّ مكان كان، في الإدارة وفي المطار وفي الساحات العامة إن لم يسمع النداء من صوامع المساجد، وهذا من أهم أدوات تقوية الإيمان وتذكية العزة في النفس.

هـ - ولنا في هدية الرحلة " الصلاة "، خير أنيس وخير صلة يتقرّب بها العبد من ربه، ومن أكثر السجود أكثر القرب، قال الإمام القشيري رحمه الله تعالى: " سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقاق يقول: إنّ نبينا عليه السلام أتى للأمة بالمعراج على التحقيق، فإنّ الصلاة لنا بمنزلة المعراج، وقد كان المعراج له عليه السلام ثلاث منازل من الحرم إلى المسجد الأقصى ثمّ من المسجد الأقصى إلى سدرة المنتهى ثمّ منها إلى قاب قوسين أو أدنى، فذلك الصلاة ثلاث منازل: القيام ثمّ الركوع ثمّ السجود، د. عبد الحلیم محمود الإسراء والمعراج ص 6 قال الله تعالى: " واسجد واقترب ".

إنّ أرض الإسراء والمعراج جديرة بأن تبقى في مهجتنا وفي سويداء قلوبنا، نصدّ العدى عنها ونلقى الله شهداء في محاريب مساجده. إنّ فلسطين مثلت ولا تزال باحتضان لحادثة الإسراء والمعراج نقطة الالتقاء بين عالمنا الأرضي المبني على النسبية، وعلى الخطأ والصواب وبين المطلق الإلهي الذي لا يعرف إلا الحق والكمال، واحتلّت بذلك موقع الصدارة من اهتمامات المسلمين حتى أصبح حضورها في وعيهم حضورا مقدّسا، شأنها شأن الكعبة بيت الله الحرام وشأن كتاب الله العزيز. ولهذا لم يكن شعار القضية الفلسطينية، قضية مركزية للحركة الإسلامية المعاصرة، شعارا مجانياً التقط من بين خيارات متعددة أو دفعا لأهداف آنية أو مرحلية، ولكنه كان الشعار الإستراتيجي الذي فرضه التقاء تاريخنا الحديث والمعاصر بالمطلق القرآني، وصدق الداعية المجاهد الذي قال: " فلسطين آية من الكتاب، من ضيعها فقد ضيع الكتاب، ومن ليس له حظ فيها فلا حظ له من الكتاب ".

ولذلك لا عجب أن نرى الجماهير المسلمة اليوم في الأراضي المحتلة تنفض غبار النوم عنها وتستعيد مواقعها على جبهة القتال الأمامية مع العدو الصهيوني فتصوغ بذلك أنشودة الحياة: حياة الخلافة والشهادة، على ترانيم منذنة المسجد الأقصى الشريف مدوية " الله أكبر " تهزّ أركان الطغاة والمشرّكين في أرجاء الأرض وتوحدّ القلوب المؤمنة المخلصة حول قضيتهم الرئيسية.

إنّ وحدة الأمة حول أرض الإسراء والمعراج هي:

- وحدة التاريخ مع القرآن وهي إعادة صياغة للجغرافيا السياسيّة باتجاه الأقصى الشريف، وهي وحدة الملايين المتقدّمة نحو قدرها.

- وحدة مشروع نهضة الأمة كلها.

وانتفاضة الجماهير المسلمة اليوم في الأراضي المحتلة وريحها العاصفة خارجه تحدّد منهج المعركة الفاصلة بين حملة راية الوحي وقيمة الوحدة والمتطلّعين إلى وجه الله تعالى من جهة وبين المتمرّدين على الله عزّ وجلّ الذين أقاموا في الأرض أبشع " نموذج حضاري " في تاريخ الإنسانيّة كلها.

وإمّا إلى الله في الخالدين

فإمّا إلى النصر فوق الأنام

إنّ الدّاعية المجاهد مكلف باستفراغ الجهد الشّرعيّ والقدريّ في النهوض بأعباء الرّسالة إلى الحدّ الذي لا يبقى فيه بعد صبره عليها صبر، ولا بعد حكمه وتدبيره لها تدبير، وذلك هو الشّرط الضّروري الأوّل للنّصر والتّمكين، وإنّ من رام العلى واختار أن يكون مجاهدا ضمن حركة إسلاميّة ضمن هذه المرحلة التّاريخيّة التي تمرّ بها أمّتنا بتحدّياتها الجسام التي تواجهها، لا بدّ أن يشمّر على ساعد الجدّ وأن يعول على جهاده ويصبر على الأذى في سبيله، الدّاعية المجاهد وهو يتبع رسول الله في كلّ خطاه لا بدّ أن يقول مقولته وهو يرفع رايته " لقد ولي عهد النّوم يا خديجة".

إنّ الواجب يدعوننا أن نستفرغ كلّ جهودنا، فلا مجال للعطالة في الحركة الإسلاميّة، ولا مجال للذين يعيشون في صفوفها أن يعيشوا عالية على عطاء الآخرين ولا ينتجون، فهذه حقول الدّعوة واسعة رحبة تدعوننا أن نقول فيها كلمة طيّبة فتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتلك مجالات التّعلم والتّفقه تناشدنا أن نجالس العلم ولو ساعة من نهار، وذلك كتاب الله عزّ وجلّ ينتظر من يقرؤه ويحفظه ويتدبّر معانيه! فإلى متى تتوقفون أيّها الدّعاة إلى الله تعالى؟ وإلى ما تتطلعون؟ فهل أنتم تنظرون الملائكة التي قاتلت مع الرّسول صلّى الله عليه وسلّم في بدر تتقمّص اليوم أدوار التّمثيل على ركح مسارحنا من أجل اسلمته، وبراق الإسراء والمعراج يحلّ محلّ وسائل النّقل التي عجزت عقولكم عن تصنيعها، وطير أبابيل تردّ الصّهاينة عن الأقصى الشّريف وأنتم تردّدون مع عبد المطلب " للبيت ربّ يحميه"! كلاً يا حملة التّوحيد، ما هكذا يفهم الإسلام!!!

إنّ المسلم الذي يقتفي أثر الرّسول صلّى الله عليه وسلّم والذي يقرأ حادثة الإسراء والمعراج، لا يمكن أن يتربّى على الإنظار والتّوكل، أو على أيّ جهة مهما كانت قيمتها في تصوّره ولو كانت تلك الجهة هي الله تعالى مصدر العون والمدد لأنّ الله عزّ وجلّ لم يحفز في وعي المسلمين بديلا عن الجهد البشريّ، ولأنّ الرّسول لم يبعث ليقتل فينا المبادرة والإعداد في كلّ أشكاله وصوره، بل أمر بالعمل ولو قبل أن تقوم السّاعة"والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا"، فهداية الله تعالى ومباركته كما تنصّ الآية القرآنيّة الكريمة تابعة للجهد البشريّ ومكمّلة له، وليست بديلا عنه.

إنّنا - أيّها الإخوة - ، ونحن نخوض معركة الجهاد من أجل إعادة الاعتبار للإسلام كطريق للنّهوض والتحرّر مدعوّون للصّبر على أذى الطريق، مقتفين صبر النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم على عناد المشركين وصدودهم، وإنّ أملنا قبل ذلك في الله عزّ وجلّ كبير في أن يوفّقنا لجني ثمار الجهاد مغفرة من ربّ كبير، ورضى منه عنا وجنّات عدن في الآخرة، وأخرى نحبّها في الدّنيا نصر منه عزّ وجلّ وفتح قريب" وتريد أن نؤمن على الدّين استضعفوا في الأرض وجعلهم أئمةً وجعلهم الوارثين . وممكن لهم في الأرض وتري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون " القصص 5-6